تخصيص الدلالة وتعميمها في الألفاظ الاستبدالية المعجمية في القراءات القرآنية(*)

باحثة دكتوراة
أمل يوسف لافي الصمادي
كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، إربد–الأردن

تحت إشراف
د.عبد الحميد سلمان الأقطش
أستاذ كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، إربد–الأردن

الملخص:

تُناقش هذه الدّراسة ظاهرتي تخصيص الدّلالة وتعميمها في الألفاظ، وتُبيّن أسبابهما وصورهما، وتقف على أثرهما في تغيّر دلالة الألفاظ الاستبداليّة المعجميّة في القراءات القرآنيّة، عمّا كانت عليه في أصل وضعها وفي استعمالها العرفي في العصر الجاهليّ، وما آلت إليه في العصر الإسلامي وما بعده.

ولتحقيق هذه الأهداف استعانت الدّراسة بنصوص نثريّة وشواهد شعريّة من العصر الجاهلي وغير الجاهلي من عصر الاحتجاج، وبعض الأبيات المبثوثة في بعض معاجم اللّغة الّتي استُشهد بها بيانًا لمعنى اللفظ، بالإضافة إلى المدوّنات التّراثيّة المعتبرة من العصر الإسلامي إلى يومنا هذا، نحو: كتب التّفسير، مثل: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للطّبري، والكشّاف" للزّمخشري، و"الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، و"فتح القدير" للشّوكاني، و"روح المعاني" للألوسي، ومعاجم اللّغة، كمعجم: "مقاييس اللّغة" لابن فارس، و"مختار الصّحاح" للرّازي، و"لسان العرب" لابن منظور، بوصفها من الكتب الّتي تمثّل مصدرًا مهمّا في جمع تلك الألفاظ وتوجيهها، وثروةً لغويّة مهمّة تجدر دراستها.

وخَلُصَتْ الدّراسة إلى أنّ أكثر صور التّغير الدّلالي في الألفاظ الاستبداليّة هو التّخصيص. أمّا صور التّعميم الدّلالي، فهي محدودة. والباعث الرّئيس لذلك هو خصوصية المعاني المستحدثة في الشّريعة الإسلاميّة بشكل عامّ، وفي السّياق القرآني بشكل خاصّ.

الكلمات المفتاحية: تخصيص الدّلالة، تعميم الدّلالة، الألفاظ الاستبداليّة المعجميّة في القراءات القرآنيّة

Specialization and Generalization of Meaning in Lexical Substitution Words in Quranic Readings

Abstract

This study discusses the phenomena of specialization and generalization of meaning in words, and explains their causes and forms, and examines their effect on changing the meaning of lexical substitutional words in Quranic readings, from what they were in their original formulation and in their customary use in the pre-Islamic era, and what they became in the Islamic era and after it.

To achieve these objectives, the study used prose texts and poetic evidence from the pre-Islamic and non-pre-Islamic eras from the era of protest, and some verses scattered in some language dictionaries that were cited to explain the meaning of the word, in addition to the respected heritage records from the Islamic era to the present day, such as: books of interpretation, such as: "Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ayat al-Qur'an" by al-Tabari, "al-Kashshaf" by al-Zamakhshari, "al-Jami' li Ahkam al-Qur'an" by al-Qurtubi, "Fath al-Qadir" by al-Shawkani, "Ruh al-Ma'ani" by al-Alusi, and language dictionaries, such as: "Miqyas al-Lugha" by Ibn Faris, "Mukhtar al-Sihah" by al-Razi, and "Lisan al-Arab" by Ibn Manzur, as they are among the books that represent an important source in collecting and directing those words, and an important linguistic wealth that deserves to be studied.

The study concluded that the most common form of semantic change in substitutional words is specification, while the forms of semantic generalization are limited, and the main reason for this is the specificity of the newly created meanings in Islamic law in general, and in the Qur'anic context in particular.

Keywords: specification of meaning, generalization of meaning, lexical substitutional words in Qur'anic readings.

مُقدّمة

إنّ دارس العربيّة يقف أمام قضايا لغويّة كثيرة ذات بال، تجعله يدرك أنّ هذه اللّغة مظهرٌ معجزٌ من مظاهر الكينونة البشريّة، تتولّد في العربيّ مَلَكةً، وتنمو معه وتتغيّر، حتّى تصير جزءًا لا يتجّزأ من نسيج حياته، ولمّا

كانت كذلك فإنّها تستحقّ التّدبّر في سننها، وتتبّع ما يطرأ عليها من أعراض وتغيّرات، لأن ذلك يفيد في فَهْم طريقة العرب في لسانها ومعهود خطابها، ويفيد كذلك في الكشف عن مكنونات كثيرٍ من الظّواهر اللُّغويّة، كظاهرتي تخصيص الدّلالة أو تعميمها اللّتين تصيبان الألفاظ فتُغيران دلالتها على المعاني، فاللفظ قد يصبح ذا دلالة خاصة تحيل على معنى خاص، أو ذا دلالة عامة تحيل على معنى عام، والقصد من ذلك كله تسهيل عمليّة التواصل اللغوي.

وتخصيص الدّلالة أو تعميمها ظاهرتان مهمّتان من ظواهر التّغيّر الدّلاليّ، تَجْدر دراستهما، والبحث في أسبابهما، وفي كيفيّة حدوثهما عبر الزّمان، خاصّة أنّهما تغيّران ألفاظ اللّغة شيئًا فشيئًا، وليس دفعة واحدة، ولكلّ واحدة منهما طرقها في التّغيير.

ومستعملُ اللُّغةِ قد لا يشعر بذلك التّغيير، ولكنّه متى نظر إلى لغة أسلافه – في أثناء تطوافه في آثارهم وعلومهم– فإنّه يُشدَهُ بغرابة دلالة بعض الألفاظ على المعاني، ويَستهجنُ كيف خُصّصت دلالة اللّفظ بعد أن كانت عامّة أو كيف عُمّمت بعد أن كانت خاصّة فيدرك آنذاك، أنّ عربيّة الأمس ليست كعربيّة اليوم، وأنّ دلالة بعض ألفاظها على المعاني تفترق من عصر إلى آخر.

ولا براح أنّ دراسة هاتين الظّاهرتين ترتبط بأحد أهم الجوانب المتعلّقة بالتّغيّر الدّلالي، وهو الجانب التّاريخيّ ويطلق عليه السّيمانتك التّاريخيّ (historical symantic)؛ فعن طريقه يمكن تتبّع تغيّر دلالات الألفاظ تاريخيًّا، وما آلت إليه من دلالات جديدة.

ولمّا كانت لهذا الجانب أهمّيّة كبيرة في رصد حركة التّغير الدّلالي في الألفاظ، فإنّ الدّراسة ستعمد إلى دراسة التّغيّر الدّلالي بشكليه: تخصيص الدّلالة أو تعميمها – في الألفاظ الاستبداليّة في القراءات القرآنيّة دراسة تاريخيّة، بالاستعانة بشواهد من الشّعر ونصوص من النّثر الجاهلي وغير الجاهلي مما يُحتجّ به، وبعض مصنّفات التّراث العربيّ.

مشكلة الدّراسة

تفترض الدّراسة وجود تفسير لمسألة تخصيص الدّلالة أو تعميمها في الألفاظ الاستبداليّة المعجميّة في القراءات القرآنيّة، يتّصل بالمعاني الإسلاميّة الجديدة المتضمَّنة في السّياق القرآني، لذا جاءت هذه الدّراسة لتسلّط الضّوء على هذه الألفاظ، وتدرس التّغيّر الدّلالي الحاصل فيها.

أسئلة الدّراسة

أفرزت مشكلة البحث جملة من التّساؤلات والإشكاليّات، أهمّها:

– كيف فسّر العلماء الأُوَل والعلماء الأَواخِر ظاهرتي تخصيص الدّلالة أو تعميمها في الألفاظ؟

– ما الأسباب الّتي أدّت إلى تَخَلُّقِ ظاهرتي تخصيص الدّلالة أو تعميمها؟

– ما الألفاظ الاستبداليّة الّتي تعرّضت إلى تخصيص أو تعميم في دلالتها؟

– ما طبيعة العلاقة بين دلالة الألفاظ الاستبداليّة في أصل وضعها، ودلالتها في إِلْفِ العرب في العصر الجاهلي، وما آلت إليه في العصر الإسلامي وبعده؟

أهداف الدّراسة

تتغيّا هذه الدّراسة تحقيق مجموعة من الأهداف، منها:

– تفسير ظاهرتي تخصيص الدّلالة أو تعميمها في الألفاظ، وفقًا لنظرة العلماء الأقدمين والمعاصرين.

– معرفة أسباب تخصيص دلالات الألفاظ أو تعميمها.

– رصد بعض الألفاظ الاستبداليّة المعجمية في القراءات القرآنيّة التي خُصّصت دلالتها أو عُمّمت بفعل المعاني السّماوية المستحدثة في السّياق القرآني.

– استكناه طبيعة العلاقة بين دلالة الألفاظ الاستبداليّة في أصل وضعها، وفي الاستعمال العُرفي في العصر الجاهلي، وما آلت إليه في العصر الإسلامي، وما صارت عليه في إِلْفِنا اليوم.

أهمّيّة الدّراسة

تأتي أهمّيّة هذه الدّراسة في كونها تتتبّع دلالات الألفاظ الاستبداليّة المعجمية في القراءات القرآنيّة وما حصل فيها من تغيير، بالتّخصيص أو بالتّعميم جرّاء استعمالها في السّياق القرآني، وهذا من شأنه أن يُعين على فهم دلالاتها الجديدة ومعانيها المختلفة، خاصّة أنّ هذه الألفاظ لم تحظَ بدراسة مستقلّة مشبعة – في حدود ما اطّلعتُ عليه من دراسات–، أضف إلى ذلك أن هذه الدراسة تغني البحث اللّغوي التّاريخي، الّذي يربط حاضر الأمة بماضيها، وترفده بدراسة تشكّل أرضيّة خصبة لهذا المجال.

منهج الدّراسة

اقتضت طبيعة هذه الدّراسة أن تتّبع خطوات المنهج الوصفي الاستقرائيّ التّحليليّ؛ إذ تبدأ بتتبّع الألفاظ الاستبداليّة في القراءات القرآنيّة ولَمّ شَعثها من مظانّها في كتب التّفسير والقراءات، ثمّ رصد الألفاظ التي خُصصت أو عُممت، وجمع شواهد تمثّلها من مدوّنة الدّراسة، وهي: نصوص من الشّعر والنثر، من العصر الجاهلي وغير الجاهلي ممّا يحتجّ به، وكتب التّفسير، ومعاجم اللّغة، لمقارنة معاني تلك الألفاظ في أصل وضعها في المعاجم اللّغويّة ومعانيها في الاستعمال العُرفي في أشعار العصر الجاهليّ، مع معانيها المستحدثة في السّياق القرآني.

الدّراسات السّابقة:

تلتقي هذه الدّراسة مع عدد من الدّراسات في بعض الموضوعات، ولم أجد بينها دراسة متكاملة تشبع هذا المطلب دراسة وتنظيرًا –في حدود اطّلاعي–، وما دُرس في أغلب هذه الدّراسات نوقش بشكل عرضي مع موضوعات لغويّة أخرى، أو اقتصر على جانب معيّن دون آخر، ويمكن الإشارة إلى بعض تلك الدّراسات:

– عرار، مهدي أسعد: **أثر استشراف التّطوّر الدّلالي في فهم النّص القرآني:**

نماذج جزئيّة ومُوجِّهات كلّيّة، جامعة بيرزيت، ٢٠٠٥: بحثت هذه الدّراسة في أعراض التّطوّر الدّلاليّ وبواعثه، وناقشت التّطوّر الدّلالي لبعض الكلمات في القرآن الكريم، **دون أن تشير إلى أشكال التّغيّر الدّلالي الحاصل فيها، كتخصيص الدّلالة أو تعميمها، ولم تبحث كذلك في التّغيّر الدّلالي في الألفاظ الواردة في مجال القراءات القرآنيّة**، ولكنّها تتقاطع مع الدّراسة الحاليّة في وقوفها على أثر السّياق القرآني ومعاني الإسلام السّمحة في التغيّر الدّلالي لبعض الألفاظ.

– أبو عودة، خليل: **التّطوّر الدّلالي بين لغة الشّعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم:** دراسة دلاليّة مقارنة، مكتبة المنار: الأردن، ٢٠٠٩: سلّطت الدّراسة الضّوء على أسباب التّطوّر اللّغوي وصوره ونتائجه، وتتبّعت تطوّر دلالة المصطلحات الإسلاميّة في القرآن الكريم تاريخيًّا، وتوصّلت إلى أنّ للسّياق دورًا مهمًّا في بيان الدّلالة، أو استحداث دلالات جديدة، ولكنّها **لم تُعنَ بدراسة تطوّر الألفاظ الواردة في مجال القراءات القرآنيّة، غاية الدّراسة الحاليّة.**

– ميرحاجي، حميد رضا وقنبري، سميرا: **التّطوّر الدّلالي في المفردات القرآنيّة**، أكاديميّة العلوم الإنسانيّة والدّراسات الثّقافيّة، ع٢، ٢٠١٦: هدفت الدّراسة إلى بيان أثر الإسلام في التّطوّر الدّلالي لألفاظ "الخشوع"، "الرّسول"، "التّسبيح"، حسبُ، ولم تطرق باب القراءات القرآنيّة، غير أنّها تتقاطع مع الدّراسة الحاليّة في منهجها في التّحليل حسبُ.

– بوفاتح، عبد العليم: **المعجم القرآني وتوسيع دلالات اللّفظ العربيّ:** دراسة نظريّة تطبيقيّة، مجلّة الدّراسات الإسلاميّة، جامعة الأغواط، ع٧، ٢٠١٦: اقتصرت الدّراسة – كسابقتها– على تتبّع الدّلالة المعجميّة للألفاظ، وبيان أثر السّياق القرآني في توسيعها، **ولم تتتبّع التّغيّر الحاصل في دلالة الألفاظ الاستبداليّة في القراءات القرآنيّة.**

هيكليّة الدّراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدّراسة أن تتكوّن من مقدّمة وتمهيد، ومبحثين،

الأوّل: بعنوان "تخصيص الدّلالة وتعميمها: تعريفهما، وأسبابهما"، والثّاني بعنوان "تخصيص الدّلالة وتعميمها في الألفاظ الاستبداليّة في القراءات القرآنية"، وانتهت بخاتمة تضمّنت أبرز نتائج الدّراسة وتوصياتها.

المبحث الأوّل: تخصيص الدلالة وتعميمها: تعريفهما، وأسبابهما:

يُناقش هذا المبحث مصطلحي تخصيص الدلالة وتعميمها وفقا لإلماحات العربية التراثية وتعريفات العربية المعاصرة، ويقف على أهم الأسباب الباعثة إلى هذا الضرب من التغير الدلالي في الألفاظ.

المطلب الأوّل: تعريف مصطلحي تخصيص الدلالة وتعميمها

تخصيص الدّلالة أو تعميمها ظاهرتان من ظواهر التغيّر الدّلالي، تعتريان الألفاظ، فتزيحانها عن دلالتها في أصل الوضع انزياحًا نسبيا، قليلا أو كثيرا، فيُضحي للفظ، بعد ذلك، معنيان، أوّلهما: مُتَقَادِمٌ مُعَمَّرٌ، وثانيهما: حادِثٌ مُتَخَلَّقٌ. وقد ألمح العلماء الحُداة الأفذاذ الأوائل إلى هاتين الظّاهرتين، في أثناء تتبّعهم لتغيّر دلالات الألفاظ، وبَحْثِهم في أسباب وقوعه ومآلاته، فأشاروا إليهما في طيّ مصنفاتهم، ومِمَّنْ يُشار إليه بالبنان أحمد بن فارس(ت٣٩٥)، فقد تعرّض إلى ظاهرتي التّخصيص والتّعميم في الدّلالة في باب "الخصائص" في كتابه "الصّاحبي"[١]، وأشار إلى غموضهما، لكنّه لم يشبع بحثهما دراسة وتنظيرًا، وممن وُجد عنده إرهاصات تأسيسيّة لمصطلح تعميم الدّلالة أبو منصور الثّعالبي (ت٤٢٩)، فقد أطلق على "اللّفظ العام" وصف "الكل"، وتحدّث عنه باقتضاب في "باب الكلّيّات" في كتابه "فقه اللّغة وأسرار العربيّة"[٢].

أمّا جلال الدّين السّيّوطي(ت٩١١) فكان أكثر منهما بحثًا ودراسة لهاتين الظّاهرتين، فَعَقَدَ لهما بابًا خاصًّا في كتابه "المُزهر"، أسماه "معرفة العام والخاص"، وشعّب بابه إلى خمسة فصول، تسلسل فيها في التّحدّث عن دلالة اللّفظ من العام إلى الخاص[٣]، فبدأ ببحث علاقة الألفاظ بدلالاتها في أصل الوضع، ووجد أنّ من الألفاظ ما تَخَلَّقَ بدلالة خاصّة، ثمّ تغيّرت فصارت

عامّة، ومن الألفاظ ما تَخَلَّقَ بدلالة عامّة، تحوّلت مع طول الزّمان إلى دلالة خاصة.

ومع إدراك هؤلاء العلماء الإجلّاء وغيرهم ظاهرتي التخصيص والتعميم في الدّلالة اللغوية للفظ، إلا أنهم لم يفردوا لهما مصطلحات خاصة، إذ اكتفوا بذكرهما على اعتبارهما من الظواهر اللّغويّة البديهيّة الّتي تصيب الألفاظ في سياق الاستعمال، ولا تؤثّر تأثيرًا مباشرًا في عمليّة التّواصل. والأمر ليس كذلك؛ فالنّاظر إلى عربيّة الأمس يتحسّسُ بونًا كبيرًا في دلالة بعض الألفاظ على المعاني، بل إنّ جيل اليوم يجد صعوبة بالغة في فهم الموروث القديم، نتيجة لغرابة الدّلالات المتقادمة مقارنة بالدّلالات الحادثة. أما علماء اللغة في عصرنا هذا، فعنوا بهاتين الظاهرتين عناية كبيرة، وأفردوا لهما دراسات خاصة.

وفيما يأتي بيان مصطلحي التخصيص والتعميم وفقا لنظر القدماء والمحدثين:

أوّلًا: مصطلح تخصيص الدّلالة: ذكر ابن فارس في مقاييسه أنّ الخاء والصّاد أصلٌ مطّرد، وهو يدلّ على الفُرْجَة والثُّلْمَة، فيُقال للقمر بدا من خصاصة السّحاب(٤). والأصل في الخاص أنّه المنفرد، كقولهم: "اختصّ فلان بكذا: أي انفرد به"(٥)، وخَصَّهُ بالشيء خُصوصًا وخَصوصيةً؛ بضم الخاء وفتحها، والفتح أفصح في العربيّة،... والخاصّة ضد العامّة(٦).

واللّفظ بهذا المعنى اللّغوي يفيد مجرّد معنى التّخصيص، ووظّف ابن فارس هذا المعنى في كتابه "الصّاحبي"، في سياق تعرضه للألفاظ الّتي تخصّصت دلالتها بمجيء الإسلام، كألفاظ الحجّ والصّلاة، فأشار إلى اختفاء الدّلالة العامّة لهذه الألفاظ وتحوّلها إلى دلالة خاصّة، فلفظ الحجّ تخصص للدّلالة على البيت الحرام للنّسك، والحجيج والحاج، وكذلك لفظ الصّلاة تخصّص للدّلالة على ركن الصّلاة في الشّريعة الإسلاميّة(٧).

أمّا أبو هلال العسكري (ت٣٩٥ هـ) فقد استعمل لفظ التّخصيص كمصطلح في كتابه "الفروق في اللّغة"، للدّلالة على ماهيّة التّغيّر في اللّفظ،

وعرّفه بأنّه: "ما دلّ على أنّ المراد بالكلمة بعض ما تناولته دون بعض"[٨]. ويدنو من تعريفه تعريف ابن الحاجب (ت٦٤٦ هـ)، وهو "قصر اللّفظ على بعض مسمّياته"[٩].

أما مصطلح التخصيص الدلالي في يومنا هذا، فذكر أحمد مختار عمر أنّه –زيادة على ما سبق– يساوق معنى التّضييق والقصر في مجال دلالة اللّفظ[١٠]، في حين يرى أولمان أنّه التّحويل من المعنى الكلّي للّفظ إلى المعنى الجزئي[١١]، وكذا عرّفه إبراهيم أنيس بأنه تحديد دلالة اللفظ وتضييق مجالها[١٢].

ثانيًا: مصطلح تعميم الدّلالة: تشير المادّة اللّغويّة لمصطلح التّعميم إلى خلاف ما أشارت إليه مادة مصطلح التّخصيص، ويظهر هذا جليًّا في كتاب المقاييس، فمن المعاني الّتي أوردها ابن فارس في هذا الكتاب لمادة العين والميم: الكثرة والشّمول[١٣]، وهذا المعنى يتضاد مع معنى مادة "الخاء والصاد" الّتي تفيد القصر والتّخصيص.

وبمعنى قريب من معنى ابن فارس ذكر الزّركشي(ت٧٩٤ هـ) معنى "العام"، فهو: "شمول أمر لمتعدد، سواءً أكان الأمر لفظا أم غيره، ومنه : عمهم الخبر إذا شملهم وأحاط بهم"[١٤].

وورد هذا المصطلح بين دفات كتب المتقدّمين، بتسميات مختلفة تدلّ عليه، مثل: "ثُمَّ اتُّسِعَ هذا..."[١٥]، "استُعمل عامًا..." [١٦].

أمّا معنى مصطلح التّعميم عند المحدثين، فيقترب كثيرًا من معناه اللّغوي والاصطلاحي في عرف الأقدمين، غير أنّه أكثر استقرارًا ووضوحًا؛ إذ عرّفه أحمد مختار عمر بأنه توسيع المعنى بنقل دلالة اللّفظ من معنى خاص إلى معنى أعمّ وأشمل، فيصبح عدد ما تشير إليه اللّفظة أكثر من السّابق، أو يصير مجال استعمالها أوسع من ذي قبل[١٧]، وعرّفه فندريس بأنه "إطلاق اسم نوع خاص من أنواع الجنس على الجنس كله"[١٨]، كإطلاق مسمّى الزيّت المعروف أنّه عصارة الزّيتون على كل ما يُدهن به[١٩]، وهذه الدلالة تولدت

لوجود علاقة مشابهة بين مادة زيت الزيتون ومادة ما يدهن به، وهي دلالة جديدة لم تتعاقد الجماعة اللّغويّة على استعمالها للفظ الزيت في أصل الوضع.

لا براح أنّ الدّلالة المستحدثة للفظ، لا تنفك عن دلالته في أصل الوضع، وبإمكان المرء أن يتحسَّس بسهولة علاقات مختلفة ما بينهما، **كعلاقة المشابهة، أو المجاورة، أو بعض علاقات المجاز المرسل.** كاسم "عُرقوب" مثلا، فمن المعروف أنّ هذا اللفظ وضع للدّلالة على اسم علم، لكنّه مع تقادم العهد تحوّلت دلالته من اسم العلم إلى دلالته على صفة لكلّ مَن يَخلف وعده(٢٠)، والعلاقة الّتي نشأت بين الدّلالتين، المتقادمة والحادثة، هي علاقة مشابهة، بوساطتها صار هذا اللفظ مثلًا يُضرَب في كلّ سياق موضوعه إخلاف الوعد.

المطلب الثّاني: أسباب ظاهرتي تخصيص الدّلالة وتعميمها في الألفاظ

اللغة العربيّة ليست بِدْعًا بين اللّغات في هذا الضَّرْب من التّغيّر الّذي يصيب الألفاظ، وإنّما هو سنة في كلّ اللّغات، فرضتها طبيعة التّواصل البشريّة، وكذا صيرورة الحياة وسيرورتها اتّجاه التّحضّر والتّمدّن، وهذان الأخيران يفرضان سياقات جديدة تتطلب استحداث دلالات جديدة، قد تُسقَط أحيانا على ألفاظ عتيقة، فتصبغها بصبغة جديدة لم تكن معروفة في إلفِ جيلٍ سابق.

والمتتبّع لعلاقات الألفاظ بدلالاتها، يجد أنّها علاقة موتورة، بين شدٍ وجذب، وانجذابٍ وتراخٍ؛ فهذا لفظٌ تَشَبَّثَ بدلالته القارّة له في أصل الوضع، وذاك لفظٌ تراخى عنها قليلًا، وآخر تراخى عنها إلى حدّ الغموض والإبهام. وهذا يُفضي بِأَخَرَةٍ إلى تخصيص دلالة اللفظ أو تعميمها أو نقلها من مجال استعمالها إلى آخر.

ولو أراد المرء بحث الأسباب المُؤَدّيَة إلى تخصيص الدّلالة أو تعميمها فإنه يجد أنها تكاد تكون واحدة، وأحيانًا متداخلة، فعندما نتحدّث عن الأسباب المنوطة باللّغة نفسها، أو الواقع اللّغوي الاستعمالي للجماعة اللغويّة، أو التّطور

الحضاري للمجتمع، وما يترتّب على كلّ ذلك من دلالات ومصطلحات جديدة بمختلف المجالات؛ فإنّ هذه الأسباب باعثة إلى تغيّر دلالة بعض الألفاظ، سواءً أكان ذلك باتّجاه التّخصيص أم باتجاه التّعميم، ويؤيّد هذا الرّأي أحمد مختار عمر، فهو يرى أنّ هذين الضّربين من التّغيّر يتساويان في الأهميّة، ولا اختلاف بينهما في درجة التّأثير في التّغيّر الدّلالي للألفاظ، وهو برأيه هذا يناقض رأي أستاذه إبراهيم أنيس، ذلك أنّ الأخير يؤكّد "أنّ تعميم الدّلالات أقلّ شيوعًا في اللّغات من تخصيصها، وأقلّ أثرًا في تطوّر الدّلالات وتغيّرها(٢١).

وإخال أنّه يمكن التّوفيق بين الرّأيين، ذلك أنّ ما ذهب إليه أحمد مختار في أنّ التّخصيص والتّعميم يؤثّران بدرجة واحدة في دلالات الألفاظ، صحيح ومُتّجه، ذلك أن انتقال دلالة لفظ ما من العام إلى الخاص، قد يفتح المجال أمام دلالة لفظ آخر للاتساع والاتجاه نحو تلك الدلالة العامّة المتروكة! كذلك لا يُنكر أحد أن مَلحظ إبراهيم أنيس صحيح ودقيق، فنسبة شيوع التّخصيص الدلالي للألفاظ أكثر من نسبة التّعميم، ومع ذلك فإنّ الدّلالات العامّة لا تلبث تترك لفظًا حتّى تجد آخر تتشبّث به.

ولتقريب وجهة النّظر هذه أكثر، نضرب مثلًا لفظة: "السّبت"، فهي من الألفاظ التي أصبحت ذات دلالة خاصّة نتيجة انزياحها عن دلالتها المُتقادمة؛ إذ كانت دلالتها **في أصل الوضع تشير إلى معنى "الدّهر"**، كما وردت في قول لبيد[الكامل](٢٢):

وغَنِيتُ **سَبْتًا** قبلَ مَجْرَى داحِسٍ لَوْ كانَ للنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلودُ(٢٣)

وهي دلالة عامّة، **جرى فيها تخصيص دلالي مع تقادم الزّمان، نتيجة كثرة استعمالها للدّلالة على أحد أيام الأسبوع**، فشيوع هذه الدّلالة بين الجماعة اللّغويّة جعل دلالتها في أصل الوضع مطيّ النّسيان.

ولو بحثنا عن اللفظ الذي حمل معنى "الدّهر" عوضًا عن لفظة

"السّبت"، لوجدنا أنّ لفظة "الدّهر" ذاتها حملت هذا المعنى، بالإضافة إلى ألفاظ أخرى، مثل: الزّمان، والعمر، والعصر، حتّى صيغة الجمع من لفظة الأيام، أضحت تستعمل للدّلالة على معنى الدّهر في سياقات لغويّة معيّنة، ومما ورد فيه معنى "الدّهر" بألفاظ غير لفظ "السّبت"، قول عنترة بن شدّاد، شاعر العصر الجاهليّ [البسيط](٢٤):

كَم يُبعِدُ الدَهرُ مَن أَرجو أُقارِبُهُ عَنّي وَيَبعَثُ شَيطاناً أُحارِبُهُ

فَيا لَهُ مِن **زَمانٍ** كُلَّما اِنصَرَفَت صُروفُهُ فَتَكَت فينا عَواقِبُهُ

يلحظ أنّ الشّاعر في هذه الأبيات استعمل لفظ "الزّمان" للدّلالة على معنى "الدّهر"، مع أنّ دلالة لفظ "الزّمان" في أصل الوضع تشير إلى "الوقت قليلُه وكثيرهُ"(٢٥)، ولكنه لمّا ترحّلت إليه دلالة الدّهر، وجه دلالته اتّجاه الوقت الكثير، ووسع دلالته أكثر؛ فصارت تشمل كلّ زمان فات.

فلفظ "الزّمان" إذن خضع إلى تعميم دلالي على حساب التّخصيص الدلالي الّذي جرى في لفظة "السّبت"، وهذا تحليل قد يُنقض إذا ما ثبت تاريخيًّا أنّ هذا اللفظ وضع في الأصل للدّلالة على معنى "الدّهر" إلى جانب لفظ "السّبت"، فلفظ تشبّث بدلالته وآخر فرّط به إلى حد الجفاء والانقطاع.

وبناء على ذلك، يمكن تصنيف الأسباب الباعثة إلى تخصيص الدّلالة أو تعميمها في الألفاظ على النّحو الآتي:

أولًا: أسباب لغويّة:

يتّصل حدوث تخصيص الدّلالة أو تعميمها في الألفاظ بطبيعة اللّغة نفسها، فثمّة بعض الألفاظ المتقاربة في الدّلالة والمعنى، تجعل مستعمل اللّغة في حَيْرة من أمره، أيُّها يستعمل للتّعبير عن معنى معيّن في سياق ما، ونظرًا لافتقار بعض الدّارسين إلى معرفة الفروق الدّلاليّة الدّقيقة بين الألفاظ، فإنّه قد يُؤْثر استعمال لفظ يكون أقلّ دقّة في مطابقته للمعنى المراد من لفظ آخر، ثمّ يشيع هذا اللّفظ في الاستعمال اللّغوي بين أبناء الجماعة اللّغويّة، حتّى يصير

ندًّا في الاستعمال اللّغوي للفظ الصّحيح المطابق للمعنى، كما هو في عرف نظام الفصحى في اللّغة العربيّة، فتنشأ من جرّاء ذلك علاقة ترادف بين اللفظين، ومن ثمّ يصير بالإمكان استعمال أيٍّ منهما في السّياق نفسه، وهو ما يُعْرَف "بالعدوى الدّلاليّة"(٢٦).

ومن الأمثلة على ذلك: استعمال كلمتي "قاحطة ومحل" في وصف السّنة الشّديدة في المحل، وهاتان الكلمتان متقاربتان في الدّلالة، غير أنّ لكلّ منهما ملامح دلاليّة تمييزيّة خاصّة، فيقال: سنة قاحطة، إذا احتبس القطر، ويقال سنة محل، إذا ساء أثرها(٢٧)، وقد يصعب على ابن اللّغة معرفة هذه الملامح الدّقيقة، فيستعمل كلّا منهما في سياق الآخر.

ومثل ذلك أيضًا: "دَعَّهُ وبَهَزَهُ وَنَحَزَه وَزَبَنَهُ"، فتطلق هذه الكلمات على هيئات الدّفع، فكلمة "دَعَّهُ": إذا دفعه بعنف وبَهَزَهُ وَنَحَزَه وَزَبَنَهُ: إذا دفعه بشدّة وجفاء"(٢٨)، ويُلحظ في هذه الكلمات أنّ كلّ واحدة منها تساوق الأخرى في المعنى مع فرق دلالي بسيط، قد لا يلمحه مستعمل اللّغة، وهو الجفاء في أثناء عمليّة الدّفع، لذلك شاع استعمال كلمة "دَعَّهُ" للدّلالة على هذه المعاني كلّها.

ولا براح أنّ اللفظ الذي صار يساوق اللفظ الآخر في المعنى، بالضّرورة قد تغيّرت بعض ملامحة الدّلاليّة التّمييزيّة، إمّا بالزّيادة وإما بالنّقصان، فإنْ زادت عمّمت دلالته وإنْ قلّت تخصّصت، ففي كلمة "دَعَّهُ" مثلا، يُلحظ أنّ العدوى الدّلاليّة أضافت إليها ملمحًا دلاليًّا جديدًا، وهو "الجفاء"، وهذا ما صيّرها لفظة عامّة تدلّ على معناها بالإضافة إلى معنى الكلمات "بَهَزَهُ وَنَحَزَه وَزَبَنَهُ"، ممّا أدّى إلى الاستغناء بلفظ "دَعَّه" عن هذه الكلمات الأخيرة.

ثانيًا: أسباب تتّصل بمستعمِل اللّغة:

يتّصل هذا السّبب بمستعمل اللّغة نفسه، الّذي أحيانًا يفتقر إلى المعرفة اللغويّة الصّحيحة لمعاني بعض المفردات، أو القدرة على تمييز الفروق الدّلاليّة الدّقيقة بين الألفاظ المتقاربة في المعنى، أو الطّريقة الصّحيحة للقياس اللّغوي، وأحيانًا يتوهّم في قياس بعض الكلمات، فيقيسها جريًا على وتيرة واحدة مع

كلمات أخرى قد تبدو مشابهة لها، وأحيانًا أخرى قد يتعمّد تغيير دلالة لفظ ما من العام إلى الخاص أو العكس، تلبية لحاجة أو ضرورة لمقتضى حال ما.

ومن الأمثلة على ذلك، كلمتا "قاده وساقه"؛ إذ ذكر الثّعالبي في كتابه "فقه اللّغة وأسرار العربيّة" أنّ: "قاده: إذا جرّه إلى أمامه، وساقه: إذا دفعه من ورائه"(٢٩)، ومع ذلك فإنّ بعض الدّارسين لا يراعي هذا الفارق الدّلالي بينهما، فيستعملهما في سياق ما على أساس التّرادف بينهما، وليس صحيحًا، فالعارف باللّغة يلمح بسهولة الفرق الدّلالي بينهما، وأنّهما –وإنْ دلّا على معنى الجر– لا يقعان في باب التّرادف التّام؛ لدلالة الأوّل على الجرّ من الأمام، والثّاني على الدّفع من الخلف، وباستعمال الكلمتين كلّ منهما في مقام الأخرى، فإنّ هذا يعني أنّ الملمح التّمييزي الدّال على جهة الدّفع أو الجر، سيُفقد منهما في سبيل تحقيق المعنى المراد، وسيؤدّي ذلك بالضّرورة إلى تعميم دلالي.

وكذا الخلط في استعمال كلمتي "الصّياح والصّراخ" للدّلالة على معنى واحد، وهو: الصّوت الشّديد، دون لَحْظِ الفرق الدّلالي بين الكلمتين، فالأولى تدلّ دلالة عامّة على "صوت كلّ شيء إذا اشتد"، في حين الثّانية ذات دلالة خاصّة تدلّ على "الصَّيْحة الشّديدة عند الفزعة أو المصيبة"(٣٠).

ومن أمثلة القياس الخاطئ كلمة "سراويل" المُعَرَّبة من الفارسيّة؛ إذ استُعملت في التّراث اللّغوي للدّلالة على المفرد، وإذا ما أُريدَ جمعها قيل: سراويلات(٣١). أمّا في عربيّة اليوم فاستُعملت كلمة "سراويل" للدّلالة على الجمع، أمّا مفردها فهو "سروال"، ويرجع سبب هذا التّغيّر الكمي في دلالة هذه الكلمة، إلى القياس الخاطئ، فكلمة "سراويل" مصوغة على زنة "فعاليل"، إحدى صيغ الجموع في العربيّة، بنحو ما في كلمة "بناطيل"، فمثلما أنّها جمعٌ مفردُها "بنطال"، فكذلك تُوهِّمَ أنّ "سراويل" جمعٌ مفردُها "سروال"(٣٢).

وقد يرى بعض الدّارسين أنّ مثل هذا التّغيّر لا يفضي إلى تعميم دلالي، وفي الظّنّ أنّ ثمّة تعميم دلالي في اللّفظ، انطلاقًا من تعريف "فندريس" لتعميم الدّلالة بأنّه: "إطلاق اسم نوع خاص من أنواع الجنس على الجنس

كلّه"[٣٣]، فلفظة "سراويل" في عُرفنا الاستعمالي اليوم تشمل كلّ ما يُغطي الجسم من السُّرة إلى الرّكبتين أو إلى القدمين، ويلبسه الرّجال والنّساء[٣٤].

ثالثًا: أسباب اجتماعيّة وحضاريّة:

اللّغة وسيلة المجتمعات والحضارات في توثيق ما يطرأ عليها من أحداث ومتغيّرات، وما يتبع ذلك من احتياجات ومتطلّبات ومستجدّات، وحتّى تتمكّن من ذلك، فإنّها ترفع مستوى مرونتها وتقبّلها للمعاني الجديدة، ممّا يعني أنّها ستتغيّر في كثير من جوانبها سلبًا أو إيجابًا؛ وفقًا لرقي المجتمع أو انحطاطه. ولعلّ أهم ما يشار إليه في هذا السّياق أثر الدّين الإسلامي في استحداث دلالات جديدة لبعض الألفاظ لم تكن مألوفة في عرف المجتمع الجاهلي، وذلك تماشيًا مع مضامينه وتعاليمه السّمحة، ومن أمثلة ما جاء به من دلالات ومصطلحات جديدة، ألفاظ: الإيمان والإسلام والمسلم والكفر والمنافق[٣٥]، ويقاس على ذلك مصطلحات العقيدة والأصول والفقه والمعاملات، ومثل هذه الألفاظ خصّصت دلالتها لارتباطها بمعاني الإسلام.

وكذا جرى اتّساع دلالي في كثير من الألفاظ، كي تساوق الدّلالات الجديدة النّاتجة من التّحضّر والتّمدّن، ومن ذلك كلمة "بَيْت" التي كانت تُطلق في أصل الوضع على المسكن الذي يُقام فيه ليلًا، فهو: مسكن مصنوع من الشَّعَرِ أو الصّوف[٣٦]، ويمكن نقله من مكان لآخر، ثمّ توسّعت دلالتها مع تقادم الزّمان فأُطلقت– بالإضافة إلى معناها المتقادم– على البيت المشيد من الطّوب، ويكون مكان إقامة ثابت، وكذا أطلقت على بيت المال: الخزانة العامّة، وبيت الله: المسجد، والبيت الحرام: الكعبة المشرفة، وبيت الحكمة: وهو معهد أسّسه الخليفة المأمون، وبيت تجاري: مركز تجاري، وغيرها الكثير[٣٧]، فأضحى عدد ما تشير إليه لفظة :"البيت" من دلالات أكثر من ذي قبل، وذلك عندما أُسقط ملمح المبيت ليلًا من معناها المتقادم، وأضيف إليها ملامح جديدة في معناها الحادث، كإضافة ملمح مكان جمع المال إلى لفظة "بيت المال"، وملمح المكان الخاصّ بالعبادة في "بيت الله، والبيت الحرام"، وملمح المركز

الرّئيس في "بيت تجاري"، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها: لفظ "الإبلاغ"، فدلالتها في أصل الوضع تحيل إلى معنى الإيصال، ومع تنامي حاجات العصر ومتطلّباته، صار اللّفظ مصطلحًا قانونيًا يفيد معنى: "الإخطار" بمضمون ورقة من أوراق المرفوعات"(٣٨)، على أنّ دلالة هذا اللفظ على معنى الإيصال لم تنتفِ أو تنتهِ، بل إنّها ظلّت تُستحضر في السّياقات اللّغويّة بهذا المعنى.

المبحث الثّاني: الجانب التّطبيقي: تخصيص الدّلالة وتعميمها في الألفاظ الاستبداليّة المعجميّة في القراءات القرآنيّة

رصدت الدّراسة عددًا غير قليل من الألفاظ الاستبداليّة المعجميّة في الأصول من أحرف القراءات القرآنيّة، متشرذمة هنا وهناك، طيّ بعض كتب التّفسير والقراءات والمعاجم اللغويّة، وقد نُسبت هذه الألفاظ إلى بعض أئمة القراءة من الصّحابة، وأُدرجت ضمن القراءات القرآنيّة المفردة (الشّاذّة) الّتي شاعت في القرون الثّلاثة الأولى من هجرة النّبي ﷺ، وتوقفت القراءة بها منذ ذلك العصر، وهي- عند جمهور علماء القراءات- لا تُعد من أوجه القراءات القرآنيّة، ولا يُتعبّد بها، ويُرجّح أنّها منوطة باختيارات قرّاء صدر الإسلام، زمن الرّسول ﷺ ومن رخصة التّعدّد القرائي للقرآن التي منحها ﷺ لهم بقوله: "إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسّر منه"(٣٩).

وبأثر هذه الرّخصة صدرت أوجه مختلفة من القراءات القرآنيّة في أصولٍ من أحرف القرآن، مرفوعة لهذا أو ذاك من الصّحابة، كما لدى تلامذة ابن مسعود، وأُبي بن كعب، وابن عبّاس، والسُّلَمي وغيرهم(٤٠)، وهذه الأوجه لا تشمل النّواحي المعجميّة حسبُ، بنحو ما في هذه الألفاظ الاستبداليّة موضوع الدّراسة، وإنّما تشمل جميع النّواحي اللّغويّة؛ الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والدّلاليّة.

والألفاظ الاستبداليّة المعجميّة المشار إليها، لا تتّصل بالألفاظ المتغيّرة صوتيًّا أو نطقيًّا – جراء الإبدال، أو الإعلال، أو الإدغام، أو تسهيل الهمزة، أو

الإمالة – ولا بالألفاظ المتغيّرة صرفيًّا؛ لأنّ التّغيير الحاصل في مثل هذه الألفاظ لا يخرجها عن أصلها أو مادّتها المشتقّة منها، وإنّما هي ألفاظ جديدة تتساوى بالتّضاد أو بالتّوافق مع الألفاظ الأصليّة في القراءات القرآنيّة، وتختلف معها في زمرتها الصّوتيّة، سواء أكان ذلك في الأسماء أم في الأفعال، مثل: حرف القراءة: ﴿كالعِهْن﴾[القارعة: ٥]، وُجدَ له قراءة استبداليّة معجميّة، هي: "الصّوف"، وكذا حرف القراءة: ﴿أُعِيدُوا﴾ [الحج: ٢٢] له قراءة استبداليّة بمرادف معجميّ، هي: "ردّوا"، والأمثلة على ذلك كثيرة، ستقف الدّراسة على بعضها، لاستجلاء الفروقات الدّلاليّة بين الألفاظ الاستبداليّة في القراءات القرآنيّة ودلالتها في أصل الوضع في المعاجم العربية وواقعها في الاستعمال اللّغوي القديم والمعاصر.

المطلب الأول: تخصيص الدلالة في الألفاظ الاستبدالية في القراءات القرآنية

إنّ المدَقِّق في الألفاظ الاستبداليّة في القراءات القرآنيّة التي رَزَأَها تخصيص دلالي لِسبب ما، يَلحظُ أن التّخصيص فيها كان له صور مختلفة، فمن الألفاظ ما تخصّصت دلالته بشكل جزئي: بمعنى أنّه أُضيف إليه ملمح تمييزي خاص مع احتفاظه بملامحه الدّلاليّة الأصليّة، وما يحكم ورود اللّفظ بدلالته الخاصّة أو العامّة هو السّياق اللّغوي الذي يرد فيه، في حين تخصّصت الدّلالة في ألفاظ أخرى بشكل كلّي: أي أنّ اللّفظ تراخى عن دلالته الأصليّة تراخيًا جليًّا إلى حدّ الانفصال، مما أفضى إلى التباس وغموض في دلالة اللفظ في كثير من المواقف الكلاميّة.

وفيما يأتي بيان لبعض الألفاظ الاستبداليّة التي اعتراها تخصيص دلالي:

1- قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦].

ورد في حرف القراءة:"فَأَزَلَّهُمَا" قراءة استبداليّة معجميّة مُخالفة لرسم المصحف هي "وَسوس"، و"أخرج أبو داود في المصاحف، عن الأعمش قال: قراءتنا في البقرة مكان فأزلّهما: فوسوس(٤١).

وَسوس: فعل ماض بمعنى أحدث صوتًا ناعمًا، ويقال: "صوَّت في خفاء"، والوسواس: الصّوت الخفي من الرّيح، ويُطلق على: همس الصّائد وأصوات الحَلْي(٤٢)، ومن استعماله بهذا المعنى في الشّعر، قول الأعشى[البسيط](٤٣):

تَسْمَعُ **لِلحَلْي** وَسْواسًا إذا انْصَرَفَتْ كمـا اسْـتَعانَ بِـريحٍ عشْـرِقٌ زَجِـلُ

شبّه صوت الحلي بصوت خشخشة شجيرة العشرق حين تضربها الرّيح(٤٤)، واللّفظ بهذا المعنى يفيد معنى الصّوت الخفيف المسموع، ثمّ تخصصّت دلالته في السّياق القرآني، فأضحت تدلّ على ما يُلقيه الشّيطان في النّفس عَمْدَ الإضلال، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴾ [الأعراف: ٢٠].

ثمّ إنّ هذه الصّيغة خُصصت دلالتها أكثر في سياق قرآني آخر عندما قُيّدت باسم الشّيطان(٤٥). وبه فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤]، وبذا أُضيفَ إلى لفظ "وسوس" ملمح تمييزي دال على كلام الشّيطان الخفي في النّفس.

وظلّت هذه الدّلالة للفظ "وسوس" متداولة في الاستعمال المعاصر، بالإضافة إلى دلالتها على تحديث النّفس بما لا خير فيه(٤٦)، وعلى كلّ شخص يُحَدّث بما يَضُرّ.

2- قال تعالى: ﴿**يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة: ٥٤].

وثّق كلّ من القرطبي والشّوكاني وأبي حيّان قراءة استبداليّة شاذّة في حرف القراءة "اقتُلوا"، وهي: "أقيلوا"، قرأ بها قتادة السّدوسي، كمرادف معجمي بمعنى الإقالة(٤٧).

وللفعل الاستبدالي "أقيلوا" في أصل الوضع معنى مختلف لما عليه في هذه القراءة القرآنيّة؛ ذلك أنّه لو أُنعم النّظر في دلالته باعتبار الأصل، لَوُجِدَ أنّه كان يدلّ على طلب الإقالة في العهد والبيعة؛ وكذا طلب فسخ الصّفقة أو البيع وإعادة المبيع إلى مالكه والثّمن إلى المشتري(٤٨)، ويُقال: تقايلا أي: تتاركا، وأقاله: أورده وقت الظّهيرة، وتَقَيَّلَ: شَرِب، والقَيْل: اللَّبَن، وقَيَّلَ الرجلَ: سَقَاهُ اللَّبَن، وعلى هذا المعنى استشهد ابن منظور بقول ثَعْلَبٌ [الكامل](٤٩):

ولَقَدْ **تَقَيَّلَ** صَاحِبِي مِنْ لِقْحةٍ لَبَنًا يَحِلّ ولحمُها لَا يُطْعَم

والقيل: الملك من ملوك حمير. واقتال على فلان; تحكم به متشبها بالملك(٥٠)، كقول ابن كلثوم[الوافر](٥١):

بَأَي مَشيئَةٍ عَمْرو بن هِنْدٍ نَكونُ **لِقيلِكُم** فيها قَطينا

وجاء هذا المعنى في الحديث الذي روى ما كتبه رسول الله ﷺ لوائل بن حجر ولقومه، إذ كتب ﷺ: "من محمد رسول الله إلى الأقيال العباهلة من أهل حضر موت"(٥٢)، والأقيال هم الملوك.

ويُقال: "أقال الله فلانا عَثْرته"؛ أي صفح عنه وغفر له، وفي الحديث الشّريف: "أقيلوا ذوي الهيئات عَثَراتهم"(٥٣)؛ فأقيلوا هنا العفو عن الزّلّات.

يتبيّن ممّا تقدّم أنّ ثَمَّة انزياحًا عن الاستعمال اللغوي في القراءة القرآنيّة المتقدّمة (أقيلوا أَنفسكم)، ذلك أنّ أقيلوا هنا تعني: اقتلوا، وهي بذا تفارق الدّلالة المتقادمة، ويظهر هذا المعنى جليًّا في إلماحة القرطبي إليه في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن"؛ إذ أشار إلى أنّ قراءة قتادة (أقيلوا أنفسكم) من الإقالة: أي استقبلوها من العثرة بالقتل(٥٤)، وجنح أبو حيّان الأندلسي إلى تفسير هذه القراءة بأنّه لمّا تورّطت النّفس في عذاب الله جرّاء هذا الفعل العظيم وهو عبادة العجل، فوجب إقالتها بالتّوبة والتزام الطّاعة، وكانت توبة بني إسرائيل قتل أنفسهم(٥٥).

وليس يخفى على ذي تبصرة وأناة أنّ اللفظ "أقيلوا" تغيّرت دلالته

بالتّخصيص في هذه القراءة، واكتسب ملمحًا دلاليًّا حادثًا وهو التَّبَرّي من النّفس بقتلها؛ لأنّها لا تَصْلُح للأُنْس وحديث الخاطر، وهذا الملمح ممتد من دلالة فسخ العهد أو الصّفقة، ذلك أنّ بني إسرائيل لمّا قتلوا أنفسهم، كأنّهم بذلك فسخوا العلاقة بين النّفس الخبيثة والجسد المُنقاد إليها، لعدم أهليّتهما في طاعة الله.

أمّا في عربيّة اليوم فيُستعمل هذا اللفظ بالمعنى المتقادم (فسخ العهد)، واشتُهر بصيغة "استقال"، فيُقال: قدّم الموظف استقالته، واستقال، ولا يكاد يُستعمل إلّا بالتّوارد مع ترك العمل من جهة العامل وليس صاحب العمل، ويستعمل منه أيضًا صيغة "قيلوا" بمعنى النّوم وقت الظّهيرة، بنحو ما ورد في قوله ﷺ: "قيلوا فإنّ الشّياطين لا تقيل"(٥٦).

3- قال تعالى:﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

قُرِئ حرف القراءة "**نُنْشِزُهَا**" بقراءة استبداليّة معجميّة شاذّة، هي: "نَنْشُرُها"، قرأ بها أبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر ويعقوب ونافع وابن عباس والحسن وأبو حيوة؛ بالرّاء من "النّشر"، وهي قراءة موافقة لرسم المصحف(٥٧).

ولعل من الأهميّة بمكان الوقوف على معنى حرف القراءة:"**نُنْشِزُهَا**"، كي يَتسنّى توجيه دلالة الفعل الاستبدالي "نَنْشُرُها"، وبيان مآلات معرفة معنى كلّ منهما في تفسير الآية الكريمة.

ذكر ابن منظور أنّ معنى: **نشز**: "المتن المرتفع من الأرض"(٥٨)، وكذا ابن فارس ذكر أنّ "النّون والشّين والزّاي أصل صحيح يدلّ على ارتفاع وعلو"(٥٩). ومن معانيه أيضًا: استعصاء المرأة على بَعْلِها، وضَرْب البعل زوجته، وقد جاء اللفظ بهذا المعنى في السّياق القرآني في قوله تعالى: ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا**﴾ [النساء: ١٢٨].

ففي الآية الكريمة الأولى: جاء اللفظ بمعنى مُسْتَحدَث لم يُؤْلَف في الاستعمال اللّغوي المتداول آنذاك، وفسّر الرّازي دلالته بمعنى رفع عظام الميت

إلى مواضعها، فَتركيب بعضها على بعض(٦٠)، وبذا يكون السّياق القرآني خصّص اللفظ "ننشزها" للدّلالة على هذا المعنى، بإضافة ملمح رفع العظام وتركيبها إحياءً للميت، ثُمّ إنّ اللفظ لم يُستعمل بهذا المعنى الحادث خارج السّياق القرآني، وهذا ما جعل قارئ القرآن يتساءل عن معنى هذا اللفظ عند قراءته للآية الكريمة:﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾، لأنّه ليس لفظًا دارجًا بهذا المعنى في الاستعمال اللّغوي الثّقافي أو حتّى في العامي، وأكثر ما يُستعمل للدّلالة على هذا المعنى لفظ "يُحْيي".

أمّا اللّفظ "نَنْشُرُها"، فكان نصيبه في الاختصاص بهذا المعنى في القرآن المجيد أكبر من "ننشزها"، لقرب معنى "النّشر" في أصل الوضع من معنى الإحياء في الشّريعة السّماويّة، ومن المواضع القرآنيّة التي ورد فيها: قوله تعالى: ﴿**ولا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا**﴾ [الفرقان: ٣] وقوله: ﴿**بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا**﴾ [الفرقان: ٤٠] وقوله: ﴿**فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا**﴾ [الزخرف: ١١] وقوله: ﴿**وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [الملك: ١٥] وقوله: ﴿**إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ**﴾ [عبس: ٢٢].

وربّما ورود هذا اللّفظ بهذا المعنى في القرآن الكريم جعل القرّاء أبا عمرو وابن كثير وأبا جعفر ويعقوب ونافع وابن عبّاس والحسن وأبا حيوة – وهم من القرّاء العشرة المعتبرين– يقرؤون بها عِوضًا عن "ننشزها".

أمّا معنى "نشر" في أصل الوضع؛ فيدلّ على فتح شيء وتشعّبه، والنّشر: الرّيح، "وريح فم المرأة وأنفها وأعطافها بعد النّوم"، وبهذا المعنى أنشد امرؤ القيس [المتقارب](٦١):

كأَن المُدامَ وصَوْبَ الغَمامِ ورِيحَ الخُزامى **ونَشْرَ** القُطُرْ(62)

والنّشر: "الكلأ ييبس ثمّ يصيبه المطر، فيخرج منه شيء كهيئة الحلم، وهو داء"(٦٣)، والنّشر: بدء النّبات في الأرض، كقولهم: نشرت الأرض، أي: "أصابها الرّبيع فأنبتت"(٦٤).

وعلى الصّحيح أن المعنى المعجمي "للنّشر" يتّسق مع معنى القراءة

المتقدمة (كيف ننشرها)، فدلالة النّشر على بدء النّبات في الأرض، واخضرار الكلأ بعد يَبْسِهِ لمّا أصابه المطر، يتلاءم مع دلالة القراءة على بدء إحياء العظام الرّميم.

وبذلك فسّر القرطبي وابن كثير دلالته في السّياق القرآني بمعنى الإحياء، فقال: "أَنْشَرَ الموتى فنشروا، أي: أحياهم فحيوا"، وقد تابعهما على هذه الوجهة في التّفسير أكثر المفسّرين وعلماء القراءات(٦٥). وبهذا المعنى **تخصّصت** دلالة اللّفظ في الشّريعة الإسلاميّة، فأُضيف إليه ملمح الإحياء بعد الموت.

ممّا سبق، يبدو أنّ القراءتين (ننشزها وننشرها) ليس بينهما علاقة ترادف فيما يتّصل بمعنيهما المعجمي في أصل الوضع، فكلّ منهما ينتمي إلى حقل معجمي مختلف، ومع هذا الاختلاف فإنّهما لم يفضيا إلى تضاد أو تناقض، بل إنّ النّابه يُدرك أنّ معنى كلّ منهما كمّل الآخر في الآية الكريمة، ذلك أنّ تصوير كيفيّة بَعْث الموتى، كما ألهم به المولى نبيَّه ﷺ، اقتضى وجود القراءتين، فمشهد بدء انبعاث الحياة في العظام ثمّ انتشارها، صوّرته قراءة "**ننشرها**"، أمّا مشهد ارتفاع العظام عن الأرض، ثمّ حركتها وانتظام كلّ واحدة منها في موضعها، ثمّ تَشَبّكها لتشكيل هيكل الجسد، وما إلى ذلك من مراحل اكتمال الإحياء، صوّرته قراءة "**ننشزها**"، وبذا تتجلّى الحكمة الإلهيّة في تعدّد القراءات، لتوضيح الدّلالة، ولتقريب المعاني السّماويّة الغيبيّة إلى الأذهان.

4- قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أوردت كتب التّفسير قراءتين لحرف القراءة "تُرجعون" قراءة بمرادف معجمي، هي: "تُرَدّون"، قرأ بها عبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب، وقراءة ليست بمرادف معجمي "تصيرون"، قرأ بها أُبي بن كعب، وليس ذلك في المصحف الشّريف(٦٦).

تُردون: فعل مبني لما لم يُسمَّ فاعله، وهو "صرف الشيء ورجعه"، ويقال: "رَدَّه إلى منزله: أي رجع، واستردّ الشّيء وارتده: طلب ردّه عليه"، واستشهد ابن

منظور بقول كثير عزة[الطويل][٦٧]:

ومَا صُحْبَتي عبدَ الْعَزِيزِ ومِدْحتي بِعارِيَّةٍ **يَرتدُّها** مَن يُعِيرُها[٦٨]

وذكر ابن فارس أنّ أصل الباب "واحد مُطّرد مُنْقَاس، وهو رَجْعُ الشّيْء"، ومن شواهده قول النّبيﷺ لسراقة بن جعشم: "ألا أدلّك على أفضل الصدّقة؟ ابنتك مردودة عليك ليس لها كاسب غيرك"[٦٩].

تغيّرت دلالة "تردّون" في السّياق القرآني إلى العَوْد إلى الله يوم القيامة والعرض عليه للحساب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[التوبة: ٩٤] وقوله: ﴿**وَسَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[التوبة: ١٠٥] وقوله: ﴿ **ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[الجمعة: ٨].

وبالعُمدة على هذه الدّلالة القرآنيّة للفظ "تردون" قرأ به عبد الله ابن مسعود كمرادف معجمي لحرف القراءة "تُرْجَعون": أي يُرجع جميع النّاس إلى الله تعالى يوم القيامة للجزاء.

وهذا المعنى يُتحسس من تفسير ابن جنّي (ت٣٩٢) للآية المتقدّمة، إذ يقول: "كأن الله تعالى رفق بالمؤمنين على أن يواجههم بذكر الرّجعة، إذ هي ممّا ينفطر لها القلوب، فقال لهم: "واتّقوا يوًما"، ثمّ رجع في ذكر الرّجعة إلى الغيبة رفقًا بهم"[٧٠]. ذلك أنّ الرّجوع إلى الله للجزاء والمحاسبة أعظم ما يُتوعد به العباد[٧١]. أمّا في إلفنا اليوم، فيُستعمل اللفظ بدلالته المتقادمة، ومن ذلك قول جبران خليل جبران[الكامل][٧٢]:

فَوَرَدْتَ وَرَدّكَ في الخُلودِ مُنَعَّمًا والأَرْضُ مائِدَة عَلَيْكَ تَأْسَفا

أمّا اللفظ الاستبدالي "تصيرون" فمع أنّه جاء بمعناه في أصل الوضع في القراءة القرآنية المتقدّمة، إلّا أنّه تعرّض كذلك للتّخصيص الدّلالي، فبعدما كان يدلّ دلالة عامّة على "المآل والمرجع"[٧٣]، صار يدل دلالة خاصّة على معنى المرجع إلى الله يوم القيامة، والجزاء على الأعمال بالجنّة أو بالنّار[٧٤]،

وهذا معنى مُتَخَلَّق من معاني التنزيل العزيز.

وثَمّة ملحظ تُحسن الإشارة إليه أن السياق الشريف لم يستعمل اللفظ "تصيرون" في أيّ موضع من مواضعه، ولكنّه استعمل من مادّة هذا اللّفظ بالمعنى نفسه صيغة "فعيل"، في أكثر من موضع؛ جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة: ٢٨٥] وقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقوله: ﴿وَلِلّهِ مُلْكُ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الْمَائِدَة:١٨] وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [النور: ٤٢] وقوله: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] وقوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣] والشواهد على اللفظ كثيرة في القرآن المجيد(٧٥).

أمّا الملحظ الآخر، فثمَّ دلالة تمييزيّة أكثر تخصيصًا من الدّلالة سالفة الذّكر، اقترنت بلفظ "مصير" في الاستعمال القرآني، وهي الدّلالة على الوعيد بالعذاب ونار جهنّم، وحتّى في المواضع التي لم تقترن هذه الدّلالة بذلك اللفظ، كان يدلّ على الوعيد بالجزاء والمحاسبة، وهما من أعظم ما يُخَوّف به الإنسان، ويعضد هذا القول استرجاع قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [ابراهيم: ٣٠] وقوله: ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦] وقوله: ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢] وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧] وقوله: ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] وقوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح ٦] وقوله: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥]، وورد اللفظ في غير هذه المواضع من القرآن الكريم للدّلالة على المعنى نفسه(٧٦)، في حين لم يقترن لفظ "مصير" بالجنّة إلّا في موضع واحد، وهو في وقوله عزّ وجلّ: ﴿جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ [الفرقان: ١٥].

في الآيات السّابقة يظهر أنّ معنى "المصير" يكاد يتّفق والمعنى الشّائع اليوم، والباعث إلى ذلك، كثرة استعمال هذا المعنى في السّياق الشّريف، ممّا

أفضى إلى اقتصار هذا اللفظ في عربيّة اليوم على معنى لا يكاد ينقدح زناد الفكر لغيره، وهو: "العاقبة والنّهاية"، ومردّ ذلك التّخصيص الدّلالي القرآني الذي أَذِنَ بهذا الاقتصار، ومن الأمثلة السّياقيّة على هذا اللفظ، قول جبران خليل جبران[الخفيف](٧٧):

وَيْحَهُـم مـا **مَصـيرُهُم** فَهُـم اليـومَ ولا عَـوْنَ غَيْـرَ لُطْـفِ القَضـاءِ

وكذلك شاع هذا اللفظ في لغة الصّحافة في عصرنا الحاضر، منه: "كشف مصير الموسم السّياحي بعد ظهور المرض الغامض"(٧٨)، ومنه أيضًا: "تزايد المخاوف من أن يلقى لبنان مصير غزة"(٧٩).

5- قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾ [يس: ٥٢].

ذكرت كتب التّفسير قراءة أخرى لحرف القراءة "بَعَثْنا"، بمرادف معجميّ، هي: "أَهَبَّنا"، قرأ بها عبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب، وليس ذلك في المصحف الشّريف(٨٠).

وأَهَبَّ: فعل لازم مزيد بالهمزة من "هبَّ"، وأورد ابن فارس معناه المعجمي ضمن مادّة "الهاء والباء"، وهو: "الانتباه والاهتزاز والحركة"، وهبّ النّائم يهبّ هبًّا، بمعنى: استيقظ مفزوعًا، وغاب فلان ثمّ هبّ(٨١): أي رجع، وذكر ابن سيده أنّ من معاني "هبّ" قولهم: "هبّت الرّيح تهبّ هبوبًا وهبيبًا": أي ثارت وهاجت، وأهبّه: نبّهه، وهزّه(٨٢)، ويُطلق الفعل "هبّ" كذلك على سير البعير بنشاط وسرعة(٨٣)، وجاء هذا المعنى في استعمال الشّعراء في العصر الجاهلي، ومنه قول لبيد [الكامل](٨٤):

فَلَهَـا **هِبَـابٌ** فِـي الزِّمَـامِ كَأَنَّهَـا صَـهْبَاءُ رَاحَ مَـعَ الْجَنُـوبِ جَهَامُهَـا

وقد يستقيم أن يقال: إنّ الأصل في دلالة اللفظ "أهبّ" هو: إثارة الشّيء واستنهاضه، ثمّ تغيّر إلى تنبيه النّائم وإيقاظه، ثمّ تغيّر إلى إحياء الميت وبعثه، وبين هذين التّغيرين ترابط واتّساق وتناسب، فالنّائم والميت سواء من حيث مفارقة الرّوح لجسديهما، وفعل الإيقاظ والإحياء يصدق على كليهما.

وتظهر هذه المعاني جليّة في إلماحة أبي صالح لهذه القراءة، حين ذكر أنّه في النّفخة الأولى يُرفع عذاب القبر عن الموتى فيهجعون هجعة، ثمّ يبعثون في النّفخة الثّانية(٨٥)؛ إذ استعمل اللفظ "هجع" الدّال على النّوم للدّلالة على الموت.

ذكر الشّوكاني أنّ النّاس تقول: "مَنْ أَهَبَّنا": إذا بعثوا ثمّ عاينوا جهنّم، أمّا الزّمخشري ففسّر "أَهَبَّنا" بأنّها تدلّ على حال الموتى بعد إحيائهم، وهي تشبه حال "مَنْ هبَّ من نومه إذا انتبه"(٨٦)، أي: إذا فَزِع، وأنشد ثعلب على معنى هذه القراءة بيت بشر الفزاري[الطويل](٨٧):

وعاذِلَــةٍ **هَبَّــتْ** بليــل تلــومني ولــم يعتمرنـــي قَبْــلَ ذَاكَ عَــذُولُ

ويبدو أنّ القراءة القرآنيّة وظّفت هذه الدّلالات كلّها حين استعملت هذا اللّفظ في السّياق القرآني المُشار إليه، لتعبّر عن الإحياء بعد الموت، وعن موقف البعث وسرعة حدوثه وهول وقوعه.

وهكذا تخصّصت دلالة هذا اللفظ حين أُضيف إليه ملمح إحياء الميت وبعثه، وهو ملمح ممتد من دلالة اللفظ على إيقاظ النّائم وتنبيهه. وهنا يتجلّى دور السّياق القرآني في تغيير دلالة اللّفظ تخصيصًا لبيان المقصد الإلهي.

ومع ذلك، فإنّ هذا الملمح الخاص استُعمل في نطاق سياق هذه القراءة القرآنيّة حسبُ، ولم يُستعمل في المدوّنة الرّسمية للمصحف الشّريف لا في هذا الموضع ولا في غيره، وباتت هذه القراءة مجرّد حالة في تاريخ علم القراءات، لا يُقرأ ولا يُتعبّد بها، حالها كحال غيرها من القراءات الشّاذّة.

أمّا في عربيّة اليوم، فلا يزال اللفظ "أهبّ" يُستعمل بمعانيه في أصل الوضع في سياقات لغويّة مختلفة، ففي قول الشّاعر المعاصر أحمد شوقي[الوافر](٨٨):

بنــي الأوطــان **هبّــوا** ثــمّ **هبّــوا** فــبغضُ المــوتِ يجليــه السّــباتُ

جاء اللفظ بمعنى الانتباه والحركة. وفي لغة التّواصل: هبّ للعمل وهبّ

إلى الصلاة؛ جاء اللفظ بمعنى المباشرة بالفعل بسرعة(٨٩).

المطلب الثّاني: تعميم الدّلالة في الألفاظ الاستبداليّة في القراءات القرآنيّة

يبحث هذا المطلب في الألفاظ الاستبداليّة التي عمّمت دلالتها وفق التّصنيف الآتي: الألفاظ التي عُمّمت دلالتها باستحداث ملامح دلاليّة تتناسب مع المقاصد الإسلاميّة، دون إسقاط لأيّ من ملامحها الأصليّة، والألفاظ التي عممت دلالتها بإسقاط بعض ملامحها الدّلاليّة القارّة في أصل وضعها، مع استحداث ملامح جديدة من مستلزمات اللفظ الاستبدالي في القراءات.

أوّلًا: تعميم الدّلالة في الألفاظ الاستبداليّة باستحداث ملامح دلاليّة جديدة تتناسق والمقصد الإلهي في السّياق القرآني، دون إسقاط لأيّ من ملامحها الأصليّة:

1- قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ [الإسراء: ٩٣].

قرأ عبد الله بن مسعود "**ذهب**" عِوض حرف القراءة "زخرف"(٩٠)، ورجّح أبو حيّان أنّ هذه القراءة هي قراءة تفسير وليست ممّا خالف رسم المصحف(٩١).

وأصل دلالة الذّهب: الحسن والنّضارة، ويقال: "الذّهب: مطر جود، وهي قياس الباب; لأنّ بها تنضر الأرض والنّبات"(٩٢)، ومن معانيه المعدن النّفيس الأصفر المعروف، والمُذْهَب يطلق على الشّيء المطلي بالذّهب، واللفظ مستعمل بهذا المعنى في العصر الجاهلي، ومنه قول لبيد [الكامل](٩٣):

أَوْ **مُـــذْهَبٌ** جَـدَدٌ عَلَـى أَلْواحِـهِ أَلَنَّـــاطِقُ المَبْـــرُوزُ والمَخْتُـــومُ(94)

عُممت دلالة هذه الكلمة في القراءة القرآنية أعلاه، فأطلقت على كل ما يزيّن به البيت من ذهب وغيره، وذلك بإضافة ملمح دلالي جديد، هو كون الذّهب كل زينة يُزخرف بها. قال مجاهد: "كنت لا أدري ما الزّخرف حتّى رأيته في قراءة ابن مسعود بيت من ذهب"(٩٥)، وقد ألمح ابن سيدة في مخصّصه إلى مظهر التّعميم الدّلالي في هذا اللفظ، فذكر أنّه كان يُطلق على الدّينار والزّخرف: الذّهب، ثمّ صار يطلق على كلّ ما زيّن، ومن ذلك قولهم: زخرفت

البيت: أي زيّنته[٩٦].

وتجمُل الإشارة إلى أنّ التّعميم الحاصل في هذا اللفظ لم يُقصِ أي من الدلالات المُعَمَّرة له، بل إنّه زاد عددها، وهذا بدوره وسّع مجال استعمال اللفظ في سياقات مختلفة.

وقد ورد اللفظ بهذا المعنى في سواد المصحف الشّريف، ومنه قوله تعالى: ﴿**يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ**﴾[الزخرف: ٧١]، وجاء بمعناه في أصل الوضع دالًّا على معدن الذّهب، في قوله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**﴾[آل عمران: ١٤]

وفي عربيّة اليوم يُستعمل بهذه الدّلالة (الزّينة والزّخرفة)، ومنه: "ذهَّب الشَّيءَ: أذهبه، طلاه وغطَّاه بالذّهب، أو طلاه بمادّة تشبهه، فيقال: "ذهَّبَ الصّائغُ المعدنَ"[٩٧]، ويستعمل كذلك بدلالته الأصليّة (معدن الذّهب)، ومنه في لغة الإعلام: "بلغ سعر غرام الذّهب من عيار ٢٤ ما يقارب ٥٥،٩٠ دينار"[٩٨].

2- قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[الكهف: ٨٠].

ذكرت كتب التّفسير قراءة معجميّة استبداليّة لحرف القراءة "فَخَشينا"، هي: "**فخاف ربك**" قرأ بها عبد الله ابن مسعود[٩٩] وأُبي بن كعب[١٠٠].

وخاف: فعل ماض على وزن فاعل، من خاف يخاف خوفا وخيفة ومخافة، بمعنى: فزع[١٠١]، ومنه قول ثَعْلَبٌ[الطويل][١٠٢]:

وكانَ ابْن أَجمالٍ إِذَا مَا تَشَذَّرَت صُدُورُ السِّياطِ شَرْعُهُنَّ **المُخَوَّفُ**[103]

وقيل: من معاني الخَوْف: الجبّة التي يلبسها العسّال والسّقّاء، والخافة: العيبة، والخَيْفانَةُ: الجَرادة قبل أن يستوي جناحاها، والأخياف: الأطوار، والنّاس أخياف أي على أشكال وحالاتٍ مختلفة، فيُطلق "الخَيَف" على مَن كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى سوداء[١٠٤]، وأصل مادّة "خاف" الذُّعْرِ وَالْفَزَعِ[١٠٥]، وأحسب أنّها أُخذت من الأخياف والخَيَف، بوصفهما حالات قد تثير في النّفس

الذّعر والفزع، واستعمل اللفظ "خَيْف" بمعنى: الخوف في قول كثير عزّة [الطويل](١٠٦):

ونحنُ بحمدِ الله نتلو كتابهُ حُلُولاً بهذا **الخَيْفِ** خَيْفِ المحارمِ

واللفظ بالدّلالة الواردة في القراءة القرآنيّة المتقدّمة مستعملة فاشية في العصر الجاهلي، ومنه قول الفرزدق [الطويل](١٠٧):

ولَـيْسَ قُضَـاعِيٌّ لَـدَيْنَا بِخـائِفٍ وإِنْ أَصْـبَحَتْ تَغْلِـي الْقُـدُورُ مِـنَ

كَـمْ مِـنْ مُنَـاخٍ **خَـائِفٍ** قَـدْ وَرَدْنَـه حَـرَّى مِـنْ مُلِمَّـاتِ الْحَـوَادِثِ مُعْطَـبِ

أمّا التّعميم في هذا اللفظ فأصابه من جانبين، **الأوّل:** يتّصل بحركة استبداله بحرف القراءة "فخشينا"، ذلك أنّ لفظ "خاف" دلالته أعمّ من دلالة "خشي"، فالخوف ليس مرتبطًا بمعرفة سابقة تستدعي الخوف، بينما الخشية منوطة بالعلم بالشّيء الذي يُخشى منه(١٠٨)، وقد تجلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨]. و**الثّاني:** يرتبط بالتّغير الدّلالي الذي تعرّض له مع تقادم العهد؛ فلا يخفى على ذي نُهْية أنّ ثمّة تغييرًا دلاليًّا أصاب اللفظ، فمن دلالته على الجبّة في زمن ما، إلى دلالته على هيئة أو حال، إلى دلالته على الخوف والفزع، ويبدو أنّ اللفظ لازم الدّلالة الأخيرة، وهو شائع في عربيّتنا اليوم بهذا المعنى، ومنه قول الشّاعر [الخفيف](١٠٩):

غير بدعٍ أن **تُخافَ** وتُرجى سيدُ القوم يُرتجى **ويُخافُ**

وقولهم: "خوَّف التلميذَ بأستاذه"، وقولهم: "رَأْس الحكمة مخافةُ الله"(١١٠).

3- قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾[فصلت: ٤٩].

قرأ عبد الله بن مسعود: "دعاء المال" عِوض حرف القراءة "دُعاءِ الخيرِ"(١١١). والمال أصل مادّته "الميم والواو واللام"، وهي كلمة واحدة بمعنى تموّل الرّجل: أي اتّخذ مالًا(١١٢)، والمال: ما يمتلكه المرء من جميع الأشياء المحسوسة،

كالنّقود والعقار(١١٣)، قال جرير [الطويل](١١٤):

إذا كان **مال** المرء يا حزر قلعةً يكن قمنًا من أن يذمَّ المواليا

وقال الراعي النميري[البسيط](١١٥):

أزرَى **بأموالِنـــا** قــومٌ أمــرتهُمُ بالعـدلِ فينـا فمـا أبقـوا ومـا قصـدوا

وقال الفرزدق[الطويل](١١٦):

أَعَمَّ عَلـى ذُهْلِ بْـنِ شَـيْبانَ نِعْمَـةً وأَدْفَــعَ عَــنْ **أَمْوالِهــا** ودِمائِهــا

ومعنى المال في القراءة القرآنيّة السّابقة: الخير بأشكاله، والمال بصنوفه، والسّلطان، والصّحّة(١١٧)، وبهذا المعنى عُممت دلالة المال حين عُدّ كلّ ما يصيب الإنسان من خير محسوس أو غير محسوس بأنّه مال، وهذا ملمح دلالي جديد أُضيف إلى لفظة المال، فصار عدد ما تشير إليه من دلالات أكثر من السّابق، وبذا توسّع مجال استعمالها للدّلالة على المحسوس والمجرّد من المعاني.

والمال في العربيّة المعاصرة يُستعمل بدلالته المتقادمة ليدلّ على كلّ ما يملكه المرء من أموال وعقارات ومتاع محسوس، أمّا الدّلالة الحادثة فاستبدلت لفظة "الرّزق" بالمال؛ للدّلالة على كلّ خير يقوده القدر للإنسان.

ومن الاستعمالات المعاصرة للفظة "المال": "**المال المنقول:** الشّيء المملوك الذي يمكن نقله كالبضائع والأثاث والسّيّارات"(١١٨).

ثانيًا: تعميم الدّلالة في الألفاظ الاستبداليّة بإسقاط بعض ملامحها الدّلاليّة، وإضافة ملامح دلاليّة جديدة:

اقتصر هذا التّصنيف على حالة واحدة من الألفاظ الاستبداليّة، وأدناه بيانها:

– **قوله تعالى:** ﴿**فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ، قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: ٧٧].

قرأ عبد الله بن مسعود وابن أبي عبلة حرف القراءة "فأَسَرَّها" بقراءة معجميّة استبداليّة، هي: "فَأَسَرَه" مع ضمير التّذكير، وأحاله الزّمخشري على معنى "القول أو الكلام(١١٩).

وأَسَرَ: فعل ماض مجرّد على وزن فَعَلَ، يدلّ على أصل واحد، وهو الإمساك والحبس(١٢٠)، ومن معانيه: الأخذ قهرًا، وقولهم: أَسَرَه: أي شدّه بالإسار أو بالقد، ومنه سمّي الأسير، ذلك أنّه كان يُشدّ بالقد، والأُسْرَةُ: الدِّرْعُ الحصينَةُ؛ ومن ذلك قول الشّاعر[الكامل](١٢١):

والأُسْـــــرَةُ الحَصْـــدَاءُ والـــــ بَـــيْضُ المُكَلَّـــلُ والرِّمَـــاح(122)

ومن ثمّ تغيرت دلالة "أَسَرَ" – في زمن ما– باتّجاه التّعميم، وذلك بإسقاط ملمح "القيد بالإسار" من ملامحها الدّلاليّة، فأضحى اللّفظ يدلّ على أخذ الأسير سواء أكان مشدودا أم غير مشدود(١٢٣)، أمّا في القراءة القرآنيّة المتقدّمة فانتقلت دلالة (أسر) من مجال استعمالها إلى مجال آخر، فأفادت معنى الكتمان والإخفاء، وهما يقعان في معنى التّقييد ولكن بصورته المعنويّة، وهذا ملمح إضافي أثرى دلالة اللفظ، ووسّع مجال استعماله، بإسقاط ملمح التّقييد الحقيقي؛ فانتقل اللفظ بذا، من دلالته على المحسوس إلى دلالته على المعنوي المجرّد.

واليوم يستعمل اللفظ بهذه المعاني، بالإضافة إلى معانٍ أخرى، ومَرَدّ ذلك حاجة العصر إلى التّعبير عن مفاهيمه المُتَخَلَّقة ومعانيه المستحدَثة بألفاظ من رحم العربية، تتصّل معانيها مع هذه المعاني المستحدثة بخيط جامع بينها.

ففي المجال الطّبي، استدعت الحاجة إلى اسْتعمال اللفظ "سر/أسر" كمصطلح طبّي، يُعبّر عن حالة مرضيّة، هي: "احتباس البول: وفيه يستمر إفراز البول، لكنه يحتبس في المثانة"(١٢٤).

والذي يلوح في ذهن القارئ لِما تقدّم أنّ المصطلح الطّبي "سر/أسر" ذو دلالة حادثة لم تُعهد من قبل، وليس كذلك، إنّما هي دلالة تولّدت من الدّلالة

المتقادمة، ثمّ انتقلت من مجال استعمالها في سابق عهدها إلى مجال آخر في عصر لاحق؛ بفعل الاستعارة.

ويبدو أنّ دلالة مادّة "أَسَرَ" توسّعت أكثر، ويتجلّى ذلك في اللفظ المشتق منها: (أُسْرة) المشار إليها آنفًا، فبعدما كان يدلّ على (الدِّرْعُ الحصينَةُ)، اختصّ للدّلالة على صلة القرابة، فيقال: "أُسْرة الرّجل بمعنى أهله وعشيرته"، بإسقاط ملمح آلة الحرب، ومن ثمّ عُممت دلالته على كلّ جماعة تربطها أمور مشتركة سواء أكانت صلة قرابة أو غيرها، فيقال: "أسرة مالكة"، بإضافة ملمح الحكم والملك على الأسرة، ويقال: "أسرة تعليميّة"، و"أسرة طبيّة"، بإضافة ملمح المهنة(١٢٥).

وعلى ما سبق يتجلّى أنّ التّغيّر الدّلالي للألفاظ نحو التّخصيص أو التّعميم ينطوي على مُشْكِلٍ واضح في تَعثّر عمليّة التّواصل اللّغوي بين أجيال الجماعة اللّغويّة الواحدة، بمعنى أنّ اللاحق سيواجه صعوبة في فهم لغة السّابق، خاصّة إذا أضفى اللاحق مفهومات على دلالات الألفاظ منبثقة عمّا يألفه في واقعه اللّغوي، كما في لفظ (أُسْرة)، ثمّ من الممكن أن لا تلتقي هذه المفهومات مع مفهومات السّابق، فيقع في فهم غير مراد. من هنا جاءت أهمية تتبع التغير الدلالي في الألفاظ، غاية رتق الفتق بين جيل اليوم والموروث اللغوي القديم على اختلاف أنواعه وأزمانه.

خاتمة

طوّفت هذه الدّراسة في الألفاظ الاستبداليّة المعجميّة في القراءات القرآنيّة الصّادرة عن قرّاء صدر الإسلام، وبحثت في التّغيّر الدّلالي في هذه الألفاظ من حيث: التّخصيص والتّعميم، وتوصلت إلى مجموعة من النّتائج:

- تنبّه علماء اللّغة الأُوَل إلى ظاهرة تعميم الدّلالة، لكنّهم لم يفردوا لها مصطلحًا خاصًّا، واكتفوا بالإشارة إليها ببعض التّراكيب، كقولهم: عمّ ذلك...، واستُعمل عاما...، ثمّ اتّسع...، ومردّ ذلك أنّهم عدّوا هذه الظّاهرة

من الظّواهر البدهيّة المُسَلَّم بها التي تعتري الألفاظ في سياق الاستعمال، ولا تؤثّر في عمليّة التّواصل.

- كان العلماء المحدثون أكثر دقّة في توصيف الظّاهرة وإشباعها دراسة وتنظيرًا.
- ارتبطت أسباب تخصيص الدّلالة أو تعميمها في الألفاظ الاستبداليّة بمعاني الوحي ومصطلحات الشّريعة الإسلاميّة.
- أغلب الألفاظ الاستبداليّة الواردة في القراءات القرآنيّة استُعملت استعمالًا سياقيًّا خاصًّا متّسقًا مع المقصد الإلهي في السّياق القرآني، بمعنى أنها لم تُستعمل بالدّلالة المعجميّة القارّة في أصل الوضع.
- أكثر صور التّغير الدّلالي في الألفاظ الاستبداليّة هو التّخصيص، أمّا صور التّعميم الدّلالي فهي محدودة، واقتصرت على نوعين: أحدهما: عمّمت فيه دلالة الألفاظ الاستبداليّة؛ باستحداث ملامح دلاليّة جديدة تتناسق مع دلالات السّياق القرآني، دون إسقاط أيّ ملمح من ملامحها الدّلاليّة في أصل الوضع، والآخر: عُمّمت فيه الألفاظ الاستبداليّة بإسقاط بعض ملامحها الدّلاليّة، وإضافة ملامح دلاليّة جديدة إليها.
- كثير من الألفاظ الاستبداليّة التي يُعتقد أنّ دلالتها تغيّرت عمّا كانت عليه في الماضي ليست كذلك، وإنّما هي دارجة في الاستعمال المعاصر بدلالة من دلالاتها المتقادمة.
- يمكن أن تسهم هذه الدّراسة في إغناء الدّراسات اللّغويّة التّاريخيّة، خاصّة التي تُعنى بمسألة إعداد المعجم التّاريخي.

الهوامش:

(١) ينظر: ابن فارس: **الصاحبي في فقه اللغة العربيّة:** ص٤٤٦-٤٥٠

(٢) الثعالبي: **فقه اللغة وأسرار العربية:** ص٢٥

(٣) ينظر: السيوطي: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها:** ١/٤٢٦-٤٤٩

(٤) ينظر: ابن فارس: **مقاييس اللغة:** ١٥٢/٢

(٥) المنياوي: **شرح مختصر الأصول:** ص٥٠

(٦) الرازي: **مختار الصّحاح:** ص٧٤-٧٥؛ الفيروز آبادي: **القاموس المحيط:** ٥٧٠/١

(٧) ابن فارس: **مقاييس اللغة:** ٢٩/٢

(٨) العسكري: **الفروق في اللغة:** ص٦٠

(٩) ابن الحاجب: **مختصر مُنتهى السّؤل والأمل في علمي الأصول والجدل:** ص٧٨٦

(١٠) ينظر: عمر: **علم الدلالة:** ص٢٥١

(١١) أولمان: **دور الكلمة في اللغة:** ص١٨٠

(١٢) أنيس، إبراهيم، **دلالة الألفاظ:** ص ١١٧.

(١٣) ينظر: ابن فارس: **مقاييس اللغة:** ٤/ ١٥، ١٨

(١٤) الزركشي: **البحر المحيط في أصول الفقه:** ٥/٣

(١٥) ينظر: الأنصاري: **النوادر في اللغة:** ص٢١٩.

(١٦) ينظر: السيوطي: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها:** ٤٢٦.

(١٧) ينظر: عمر: **علم الدلالة:** ص٢٤٣؛ أبو شريفة، عبد القادر وآخرون، **علم الدّلالة والمعجم العربي:** ص٤٥.

(١٨) فندريس: **اللغة:** ص٢٥٨.

(١٩) ينظر: الأحمري: **أسباب التطور الدلالي:** ص١٦٦.

(٢٠) ينظر: أنيس: **دلالة الألفاظ:** ص١٥٤، ١٥٥.

(٢١) ينظر: عمر: **علم الدلالة:** ص٢٤٣

(٢٢) ينظر: **ديوان لبيد:** ص٦٤

(٢٣) ينظر: ابن منظور: **لسان العرب:** ٣٧/٢

(٢٤) ينظر: **شرح ديوان عنترة:** ص٢٨

(٢٥) ينظر: ابن منظور: **لسان العرب:** ١٣/١٩٩

(٢٦) ينظر: بيرجبرو: **علم الدّلالة:** ص١١٨ والأحمري: **أسباب التطور الدلالي:** ص١٦٠

(٢٧) ينظر: الثعالبي: **فقه اللغة وأسرار العربية:** ص٦٠

(٢٨) **السّابق:** ص١٤٢

(٢٩) **السّابق:** ص١٤٢

(٣٠) ينظر: الثّعالبي: **فقه اللغة وأسرار العربية:** ص١٤٧

(٣١) ينظر: ابن منظور: **لسان العرب:** ١١/ ٣٣٤

(٣٢) ينظر: عنيزات: **غريب الحديث الشريف من الهروي إلى الزمخشري:** ص٤٠

(٣٣) فندريس: **اللغة:** ص٢٥٨

(٣٤) ينظر: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة: **معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون:** ص٧

(٣٥) ينظر: بوفاتح: **المعجم القرآني وتوسيع دلالات اللفظ العربي:** ص٩٩ وابن فارس: **الصّاحبي:** ص٨٣

(٣٦) ينظر: ابن منظور: **لسان العرب:** ٢/ ١٤

(٣٧) عمر: **معجم اللغة العربية المعاصر:** ١/٢٦٧

(٣٨) المضياني: **تعميم الدلالة وتخصيصها في المعجمات العربية:** ص٩٩

٣٩() العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** ٨/٦٤٣

٤٠() ينظر: الأقطش: **القراءات القرآنية من التنظير إلى التنظيم:** ص٣

(٤١) ينظر: الشوكاني: **فتح القدير:** ١/٨٣

(٤٢) ينظر: ابن منظور: **لسان العرب:** ٦/٢٥٥؛ الرازي: **مختار الصحاح:** ص٣٠١

(٤٣) **ديوان الأعشى الكبير:** ص٩١؛ الدرة: **فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال:** ٢/٣٧٧

(٤٤) ينظر: الدرة: **فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال:** ٢/٣٧٨

(٤٥) التليسي: **النفيس من كنوز القواميس:** ٤/٢٤٧٦

(٤٦) عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصر:** ٣/ ٢٤٤٣.

(٤٧) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن:** ٤٠٢/١؛ الشوكاني: **فتح القدير:** ١٤٧/١؛ الأندلسي: **البحر المحيط:** ٣٣٧/١

(٤٨) ابن منظور: **لسان العرب،** ١١/ ٥٨٠؛ التليسي: **النفيس من كنوز الواميس،** ٤/ ١٩٢٧

(٤٩) **السّابق:** ٥٧٩/١١

(٥٠) ابن فارس: **مقاييس اللغة:** ٤٥/٥

(٥١) **ديوان عمرو بن كلثوم:** ص٧٨

(٥٢) ينظر: الدرة: **فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال:** ٣٩٢/١

(٥٣) القاري: **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:** ٢٣٤٣/٦

(٥٤) ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن:** ١/ ٤٠٢

(٥٥) ينظر: أبو حيان: **البحر المحيط** في التفسير: ٣٣٧/١

(٥٦) العسقلاني: **فتح الباري:** ١١/ ٧٢

(٥٧) ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن:** ٢٩٥/٣؛ الطبري: **جامع البيان:** ٤٧٦/٥؛ الأخفش: **معاني القرآن للأخفش الأوسط:** ١٩٨/١؛ الفراء: **معاني القرآن:** ١٧٣/١

(٥٨) ابن منظور: **لسان العرب:** ٤١٧/٥

(٥٩) ابن فارس: **مقاييس اللغة:** ٥/ ٤٣٠

(٦٠) ينظر: الرازي: **مختار الصحاح:** ص٢٧٥

(٦١) ينظر: ابن منظور: **لسان العرب:** ٢٠٦/٥

(٦٢) **ديوان امرئ القيس:** ص١٥٧

(٦٣) ابن فارس: **مقاييس اللغة:** ٤٣٠/٥

(٦٤) التليسي: **النفيس من كنوز القواميس:** ٤/ ٢٢٦٦

(٦٥) جمعات: **التوجيه المعجمي للقراءات القرآنية:** ص٤٠٩

(٦٦) ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن:** ٣/ ٣٧٦؛ الثّعلبي: **الكشف والبيان:** ٢٨٩/٢؛ الأندلسي: **البحر المحيط:** ٧١٩/٢؛ الزمحشري: **الكشاف:** ١/ ٣٢٣

(٦٧) ابن منظور: **لسان العرب:** ١٧٢/٣

(٦٨) **ديوان كثير عزة:** ص٣١٦

(٦٩) ابن فارس: **مقاييس اللغة:** ٣٨٦/٢

(٧٠) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن:** ٣٧٦/٣

(٧١) ابن جني: **المحتسب:** ١٤٥/١

(٧٢) **ديوان جبران خليل جبران:** ص٣١٧

(٧٣) ابن فارس: **مقاييس اللغة:** ٣٢٥/٣

(٧٤) ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن:** ٣٧٦/٣

(٧٥) ومن السّور التي تضمّنت هذا اللفظ بالمعنى المتقدّم: غافر: ٣؛ فاطر: ١٨؛ الشورى: ١٥؛ ق: ٤٣؛ الممتحنة: ٤؛ التغابن: ٣

(٧٦) ورد لفظ (مصير) للدّلالة على الوعيد بالعذاب والنّار في سورة: المجادلة: ٨؛ التغابن: ١٠؛ التحريم: ٩؛ الملك: ٦

(٧٧) **ديوان جبران خليل جبران:** ص٣٠

(٧٨) صحيفة الرأي: ٢٣/ ٩ / ٢٠٢٤، alrai.com.

(٧٩) صحيفة القدس: ٢٤/ ٩ / ٢٠٢٤، alquds.co.uk.

(٨٠) الزمخشري: **الكشاف:** ٢٠/٤؛ الشوكاني: **فتح القدير:** ٤٢٩/٤

(٨١) ابن فارس: **مقاييس اللغة:** ٤/٦– ٥

(٨٢) ابن سيده: **المحكم:** ١٠٧/٤

(٨٣) ينظر: الرازي: **مختار الصحاح:** ص٢٨٧

(٨٤) **ديوان لبيد:** ص٢١٠؛ الدرة: **فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال:** ٤٢/٢

(٨٥) الشوكاني: **فتح القدير:** ٤٣٠/٤

(٨٦) ينظر: الزمخشري: **الكشاف:** ٢٠/٤

(٨٧) ينظر: الشوكاني: **فتح القدير:** ٤٣٠/٤

(٨٨) **ديوان أحمد شوقي:** ص٣٧٧

(٨٩) ينظر: عمر، أحمد مختار: **معجم اللغة العربية المعاصر:** ٣/ ٣١٨.

(٩٠) ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن:** ١٠/ ٣٣١؛ أبو حيان: **البحر المحيط:** ٧/ ١١٢

(٩١) ينظر: أبو حيان: **البحر المحيط**، ١١٢/٧

(٩٢) ابن فارس: **مقاييس اللغة**: ٣٦٢/٢

(٩٣) ابن منظور: **لسان العرب**: ١/ ٣٩٤

(٩٤) **ديوان لبيد**: ص١٨٠

(٩٥) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**: ١٠/ ٣٣١

(٩٦) ينظر: ابن سيدة: **المخصص**: ٢٩٥/٣

(٩٧) عمر: **معجم اللّغة العربية المعاصرة**: ٨٢٤/١

(٩٨) **صحيفة الدستور**: ٢٠٢٤/٩/٢٨: addustour.com

(٩٩) ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**: ١١/ ٣٧؛ أبو حيان: **البحر المحيط**: ٧/ ٢١٥

(١٠٠) الزمخشري: **الكشاف**: ٧٤١/٢

(١٠١) ينظر: ابن منظور: **لسان العرب**: ٩٩/٩

(١٠٢) ابن منظور: **لسان العرب**: ٩٩/٩

(١٠٣) بلا نسبة عند: ابن سيده: **المحكم**: ٣٦/٨؛ ابن منظور: **لسان العرب**: ٩٩/٩

(١٠٤) الفراهيدي: **معجم العين**: ٣١٢/٤

(١٠٥) ابن فارس: **مقاييس اللغة**: ٢٣٠/٢

(١٠٦) **ديوان كثير عزة**: ص٢٢٥

(١٠٧) **ديوان الفرزدق**: ص٢٠، ٢٢

(١٠٨) الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**: ص٢٨٣

(١٠٩) **ديوان حيدر الحلي**: ٤٠/٢

(١١٠) عمر: **معجم اللّغة العربية المعاصرة**: ١/ ٧٠٨

(١١١) ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**: ٣٧٢/١٥

(١١٢) ينظر: ابن فارس: **مقاييس اللغة**: ٥/ ٢٨٥

(١١٣) ينظر: ابن سيدة: **المخصص**: ٤٤٦/٣

(١١٤) **ديوان جرير**: ٧٢١/٢

(١١٥) **ديوان الراعي النميري**: ص٦٤

(١١٦) **ديوان الفرزدق**: ص١٣

(١١٧) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن:** ٣٧٢/١٥

(١١٨) عمر: **معجم العربية المعاصرة:** ٢١٣٩/٣

(١١٩) الزمخشري، **الكشاف:** ٢/ ٤٩٣؛ أبو حيان: **البحر المحيط:** ٦/ ٣٠٩؛ الرازي: **تفسير الكبير:** ٤٩٠/١٨

(١٢٠) ابن فارس: **مقاييس اللغة:** ١٠٧/١

(١٢١) ينظر: ابن منظور: **لسان العرب:** ١٩/٤

(١٢٢) بلا نسبة عند: ابن منظور: **لسان العرب:** ١٩/٤ ولسعد بن مالك بن ضبيعة عند: الخطيب التبريزي: **شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام:** ص٣٥٧

(١٢٣) ينظر: الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن:** ص٧٦

(١٢٤) عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة:** ٩١/١

(١٢٥) ينظر: عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة:** ١/ ٩١

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الأحمري، ظافر بن محمّد: **أسباب التطور الدلالي ومظاهره في اللغة العربية:** قراءة وتحليل، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ع١٦٨، ج٢، ٢٠١٦.
- الأخفش، أبو الحسن: **معاني القرآن للأخفش الأوسط**، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط١، ١٩٩٠.
- الأصفهاني، أبو الحسين الراغب: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق والدّار الشّامية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- الأقطش، عبد الحميد: **القراءات القرآنية من التنظير إلى التنظيم**، مجلة الضاد، مج٤، ع١، ٢٠٢٠.
- الآلوسي، شهاب الدين: **روح المعاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، د.ت.
- الأندلسي، أبو حيان: **البحر المحيط** في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- الأنصاري، أبو زيد: **النوادر في اللغة**، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨١.
- أنيس، إبراهيم: **دلالة الألفاظ**، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة، ط٣، ١٩٧٦.
- أولمان، ستيفن: **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب: القاهرة، ١٩٨٦.

- بوفاتح، عبد العليم: **المعجم القرآني وتوسيع دلالات اللفظ العربي:** دراسة نظريّة تطبيقيّة، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة الأغواط، ع٧، ٢٠٠٦.
- بيبرجبرو: **علم الدّلالة،** ترجمه عن الفرنسيّة: منذر عيّاشي، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق، ط١، ١٩٨٨.
- التليسي، خليفة محمد: **النفيس من كنوز القواميس،** اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام الجماهرية، طرابلس، ٢٠٠٧.
- الثعالبي، أبو منصور: **فقه اللغة وأسرار العربية،** تحقيق: عبد الرّزاق المهدي، دار إحياء التّراث العربي، د.م، ط١، ٢٠٠٢.
- الثّعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد: **الكشف والبيان عن تفسير القرآن،** تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، تدقيق ومراجعة: نظير الصّاعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
- جمعات، توفيق: **التوجيه المعجمي للقراءات القرآنية،** مجلة العلوم الإسلامية، ع٨، ٢٠١٨.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: **المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها،** تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرون، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦-١٩٦٩.
- ابن الحاجب، جمال الدّين أبي عمر النّحوي الأصولي: **مختصر مُنتهى السّؤل والأمل في علمي الأصول والجدل،** دراسة وتحقيق: نذير حمّادو، الشّركة الجزائريّة اللبنانيّة، الجزائر ودار ابن جزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.
- الخطيب التبريزي، أبو زكريّا يحيى بن علي: **شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام،** كتب حواشيه: غريد الشّيخ، وضع فهارسه العامّة: أحمد شمس الدّين، منشورات محمّد علي بيضون-دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

- الدرة، محمد علي طه: **فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال**، مكتبة السوادي، جدة، ط ٢، ١٩٨٩.
- **ديوان أحمد شوقي**، دار صادر، بيروت، مج١، ١٩٩١.
- **ديوان الأعشى الكبير** (ميمون بن قيس): شرح وتحقيق: محمّد حسين، المكتب الشّرقي للنّشر والتّوزيع، بيروت، د.ت.
- **ديوان الراعي النميري**، جمعه وحققه: راينهرت فايبرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٨٠.
- **ديوان الفرزدق**، شرحه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٩٨٧.
- د**يوان امرئ القيس**: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٤، د.ت.
- د**يوان جبران خليل جبران**، نسخة المكتبة الشاملة الذهبية، ٢٠٢١.
- **ديوان جرير** بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، د.ت.
- **ديوان حيدر الحلي**، حققه: علي الخاقاني، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.
- **ديوان زهير بن أبي سلمى**، شرحه وقدّم له: علي حسن فاعور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٨٨
- **ديوان عمرو بن كلثوم**، جمعه وحقّقه وشرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١.
- **ديوان كثير عزة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١.
- **ديوان لبيد بن ربيعة شرح الطّوسي**، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: حنّا نصر الحتّي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

- الرازي، فخر الدين: **تفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط٣، ٢٠٠٠.
- الرازي، محمد بن أبي بكر: **مختار الصّحاح**، مكتبة لبنان: بيروت، ١٩٨٦.
- الزركشي، بدر الدين محمّد: **البحر المحيط في أصول الفقه**، تحرير: عمر سليمان الأشقر، مراجعة: عبد السّتّار أبو غدّة ومحمّد سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية، الكويت ودار الصّفوة، الغردقة، ط٢، ١٩٩٢.
- الزمخشري، أبو القاسم: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ضبطه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة، ١٩٨٧.
- ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المخصص**، تحقيق: خليل إبراهيم جفّال، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.
- السيوطي، جلال الدين، **شرح شواهد المغني**، تعليق: أحمد كوجان ومحمد الشنقيطي، لجنة التراث العربي، ١٩٦٦.
- السيوطي، عبد الرحمن: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
- **شرح ديوان عنترة:** قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه، مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢.
- أبو شريفة، عبد القادر وآخرون، **علم الدّلالة والمعجم العربي**، دار الفكر: عمان، ط١، ١٩٨٩.

- **شعر نصيب بن رباح**، جمع وتقديم: داود سلوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧.
- الشوكاني، محمّد بن علي: **فتح القدير**، دار ابن كثير، دمشق ودار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- **صحيفة الدستور**: ٢٠٢٤/٩/٢٨: addustour.com.
- **صحيفة الرأي**: ٢٠٢٤/٩/٢٣، alrai.com.
- **صحيفة القدس**: ٢٤/ ٩ / ٢٠٢٤، alquds.co.uk.
- الطبري، أبو جعفر: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر: القاهرة، ٢٠٠١.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محبّ الدين الخطيب، ترتيب وتبويب: محمّد فؤاد عبد البافي، مراجعة: قصي محب الدّين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٧.
- العسكري، أبو هلال: **الفروق في اللغة**، حققه وعلّق عليه: محمّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة: القاهرة، ١٩٩٧.
- عمر، أحمد مختار بمساعدة فريق عمل: **معجم اللغة العربية المعاصر**، عالم الكتب: القاهرة، ٢٠٠٨.
- عمر، أحمد مختار: **علم الدلالة**، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨.
- عنيزات، أحمد سعيد: **غريب الحديث الشريف من الهروي إلى الزمخشري**: دراسة في المعنى معجميا ودلاليا، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ٢٠٢٠.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: **الصاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، تحقيق: السيد محمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، د.م، ١٩٧٩.

- الفراء، يحيى بن زياد: **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة: القاهرة، ط١، د.ت.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **معجم العين**، تحقيق: مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- فندريس: **اللغة**، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة، ١٩٥٠.
- الفيروز آبادي، مجد الدين: **القاموس المحيط**، دار الجيل: بيروت، المكتبة الإسلامية، د.ت
- القاري، علي ابن سلطان: **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، دار الفكر بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
- القرطبي، أبو عبد الله: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط٢، ١٩٦٤.
- المضياني، محمد بن نافع: **تعميم الدلالة وتخصيصها في المعجمات العربية**، مجلّة جسور، مصر، ع٦، ٢٠١٨.
- ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٣.
- المنياوي، محمود بن محمّد: **شرح مختصر الأصول من علم الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين**، منشورات المكتبة الشاملة، ط١، ٢٠١١.
- نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة: **معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٦٨٠.